العصور

مجلة علمية نصف سنوية، مُحَكَمة، تعنى بنشر البحوث التاريخية والآثاريّة والحضاريّة

المجلد الخامس
الجزء الثاني
يوليو ١٩٩٠م
ذوالحجة ١٤١٠هـ

دار المريخ
تصدر عن دار المريخ للنشر - لندن

العصور

مجلة علمية نصف سنوية، مُحَكّمة، تعنى بنشر البحوث التاريخيّة والآثاريّة والحضاريّة

المجلد الخامس
الجزء الثاني
يوليو ١٩٩٠م
ذو الحجة ١٤١٠هـ

دار المريخ

تصدر عن : دار المريخ للنشر - لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

العصور . المجلد الخامس، الجزء الثاني، ٢١٧ ـ ٢٢٨ القسم العربي (١٩٩٠م)

المحتويات

القسم العربي

العصور المجلد الخامس، الجزء الثاني، ٢٨٣ ـ ٣١٠ (١٩٩٠م)

الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد دولة المماليك

للدكتور محمد صالح الطاسان

ملخص البحث: أولت جميع الحكومات التي تولت مكة، اهتماما خاصا لرعاية المسجد الحرام، نظرا لمكانته الدينية في قلوب المسلمين، ومن ظواهر هذا الاهتمام هو تكليف عدد من الموظفين لخدمته والعناية به.

ولما كانت بعض الوظائف بالمسجد الحرام قديمة قدم الكعبة نفسها فإنها في عهد الدولة المملوكية زادت وتعددت نتيجة حرص سلاطين هذه الدولة على الاهتمام بالمسجد الحرام خاصة وباهل مكة عامة. ويدل على هذا الاهتمام حرص سلاطين هذه الدولة على متابعة شؤون المسجد الحرام والعناية به، فعادة لا يعين في الوظائف الدينية الكبيرة إلا علماء اكفاء لهم منزلتهم في المجتمع المكي، كما ان قرار تعيينهم يصدر عادة بقرار سلطاني.

ويتناول هذا البحث دراسة بعض الوظائف الدينية والإدارية بالمسجد الحرام في عهد الدولة المملوكية مثل «الخطيب، والإمام، والسادن، والمؤذن، وشيخ الحرم، وناظر العمارة، والفراش والبواب، والزمزمي، والوقاد، والعمرى» من حيث شروطها واختصاصاتها، ومكانتها في المجتمع المكي.

ولاشك أن هذه الوظائف، خلال هذا العهد موضع تنافس شديد داخل المجتمع المكي، لمنزلتها ولعوائدها المالية.

للمسجد الحرام في نفوس المسلمين مكانة كبيرة، ففيه الكعبة المشرفة، وهي أول بيت وضع للناس، تتجه إليها ملايين المسلمين في صلواتهم، وتتوق نفوسهم بالقرب منها والطواف حولها.

وقد خص الله هذه البقاع بفضائل كثيرة، منها أن أجر الصلاة فيها بمائة ألف صلاة فيما سواها، وأوجب فيها الأمن والأمان حيث لا قتال فيها، وغيرها من الفضائل التي فصلها الفقهاء في كتبهم[(١)]

من أجل ذلك كانت هذه البقاع مركز اهتمام شديد من قبل المسلمين، لذلك اهتمت بها كافة الدول الإسلامية التي تعاقبت على حكمها، وتسابقت في العناية والاهتمام بها وبأهلها.

وهذه الدراسة ستركز على الوظائف الدينية والإدارية في المسجد الحرام في العهد المملوكي (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ)، لأنها في هذا العهد زادت وتوسعت، فتطورت وظائف قديمة، ونشأت وظائف جديدة،

والواقع أن الاهتمام بالكعبة والمسجد الحرام، وظهور بعض الوظائف فيه لم يكن وليد الفترة التي ندرسها، ولم يولد مع نشوء الدولة الإسلامية، منذ عهد الرسول ﷺ إنما كانت هناك في المسجد الحرام

(١) الفاسي المكي المالكي، محمد بن احمد بن علي، **شفاء الغرام باخبار البلد الحرام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جزءين (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، جـ١، ص ص١٠٧ ـ ١١٥.

وظائف قديمة، قدم الكعبة نفسها ومن ذلك ما نجده مذكورا في كتاب التاريخ عن مدى اهتمام القبائل التي حكمت مكة قبل الإسلام بالكعبة وما حولها، وبلغت ذروة هذا التطور عندما جمع قصى أمور مكة بيده ثم بعد ذلك وزعها بين أولاده، فكانت فيهم حتى جاء الإسلام فأقرها.

ولم يكن هذا الاهتمام بالكعبة والمسجد الحرام فقط من قبل حكام مكة الجاهليين، إنما نجد اهتمام عدد من حكام الدول الأخرى الموجودة في الجزيرة العربية في ذلك الوقت بالكعبة والمسجد الحرام، ومن ذلك ما ذكرته أيضا كتب التاريخ عن إرسال ملوك اليمن «التتابعة» الكسوة للكعبة والهدايا إليها.

وستركز هذه الدراسة أيضا على الوظائف التي يقوم أصحابها بخدمة الكعبة والمسجد الحرام فقط، وسوف لا تتطرق لذكر بعض الوظائف التعليمية بالمسجد الحرام ولا الوظائف التي يكون عمل أصحابها في مكة، ولكن خارج المسجد الحرام.

والهدف من هذه الدراسة هو إظهار مدى ما يتمتع به المسجد الحرام في نفوس سلاطين المماليك من مكانة محترمة، بحيث أنهم جعلوا لخدمته هذا العدد الكبير من الموظفين.

ولاشك أن كثرة الموظفين الذين يقومون بخدمة المسجد الحرام من أهل مكة، تعود من ناحية أخرى إلى سد حاجة أهل مكة الاقتصادية بادرار الرزق عليهم بشكل مستمر.

الخطيب

وهو أعلى أصحاب الوظائف الدينية في المسجد الحرام مكانة، وتنحصر مهمته عادة في إلقاء خطبة صلاة الجمعة والعيدين في المسجد الحرام، وفي أيام موسم الحج يلقي خطبة في عرفة ومنى[٢].

والخطبة في صلاة الجمعة والعيدين يوم عرفة، سنة بدأ بها الرسول ﷺ ولذلك تعتبر شرط من شروط هذه الصلوات، يجب القيام بها، ولا تصح الصلاة إلا بها. لذلك من يتولى هذا الأمر لا بد أن تجتمع فيه شروط الأمامة والخطابة، لأنه عادة من يخطب بالناس في هذه الصلوات هو الذي يؤمهم في الصلوات نفسها.

ومن أهم الشروط التي أوجبها الفقهاء فيمن يتولى الخطابة:

١ — أن يكون مسلماً.
٢ — أن يكون بالغاً.
٣ — أن يكون ذكراً.
٤ — أن يكون عاقلاً.
٥ — أن يكون متعلما عارفا لأحكام الصلاة والخطبة.
٦ — أن يكون سليما من الأمراض التي تعيق من أداء الخطبة.
٧ — أن يكون لسانه سليما من العيوب اللفظية.
٨ — أن يكون صوته مسموعاً.
٩ — أن تكون الخطبة باللغة العربية.

أما في أثناء الخطبة فيجب:

١ — أن يكون متطهراً من الحدثين.
٢ — أن يلقى خطبته قائما.
٣ — أن يكون حسن المظهر[٣]

فهذه الشروط الدقيقة التي اشترطها الفقهاء المسلمون على من يتولى الخطابة، تدل على عظم مكانة هذه الشعيرة في الإسلام ومكانتها في الصلاة، لذلك لا

---

(٢) ابن فهد، عمر بن فهد، **اتحاف الورى بأخبار ام القرى**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ثلاثة اجزاء (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ)، الجزء الرابع، مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٢٢٠٤ **تاريخ تيمور**، الجزء الثالث، ص٣٤٥، جـ٤ ص٤٩٤، ٥٠٢؛ ابن فهد، عمر بن فهد، **الدر الكمين في الذيل على العقد الثمين**، نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٠٤٢ تاريخ من مخطوطة موجودة في مكتبة رضا رامبور بالهند، ص٤٩/أ؛ الفاسي المكي المالكي، محمد بن أحمد بن علي، **العقد الثمين في تاريخ البلد الامين**، تحقيق محمد حامد الفقي وفؤاد سيد ومحمود محمد الطناحي، ٨اجزاء (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٩ ـ ١٣٨٨هـ)، جـ٤، ص٦٠٤؛ السخاوي، محمد ابن عبد الرحمن، **التبر المسبوك في ذيل السلوك** (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.)، ص١٤٨.

(٣) الجزيرى، عبد الرحمن، **كتاب الفقه على المذاهب الاربعة**، ٥اجزاء (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ)، جـ١، ص ص ٣٥٥، ٣٩١ ـ ٣٩٥، ٤٠٩، ٤١٢.

يتولى هذه الوظيفة المهمة إلا من اتصف بمثل هذه الشروط.

ولعظم مكانة هذه الوظيفة نجد أن متوليها في العهد الذي ندرسه، لا بد أن يصدر قرار تعيينه من السلطان[٤]. ولكن عادة لا تطبق تلك الشروط الدقيقة التي أوجبها الفقهاء على من يتولى هذه الوظيفة في هذه الفترة. إذ نجد السلطان يعين عادة ابن الخطيب بعد وفاته في الوظيفة[٥]. أو أحد أفراد أسرته[٦]، وغالبا لا تنطبق مثل تلك الشروط على المعيَّن بل أننا نجد السلطان أحيانا يعين أبنا قاصرا للخطيب المتوفي ليخلف والده في منصب الخطابة، وحلا لهذا الوضع الشاذ يقوم أحد أقارب الصبي بمهام الخطابة حتى يبلغ[٧].

ولا يستطيع الخطيب المعين ممارسة عمله إلا بعد قراءة قرار تعيينه من السلطان في المسجد الحرام أمام جماعة من أعيان مكة وعلمائها. ويصل مع القرار خلعة من السلطان للخطيب، وهي عبارة عن كاملية بفرو سمور[٨].

ويبدأ الخطيب في ممارسة عمله من أول جمعة بعد قراءة قرار التعيين[٩]، حيث يخرج من بيته في موكب يمشي فيه معه بعض أعيان مكة إلى المسجد الحرام، وهذه عادة مستمرة كلما خرج لإلقاء خطبته في كل جمعة[١٠]، لابسا السواد[١١]، ثم يلقي خطبته على منبر له درج في المسجد الحرام قريبا من باب الكعبة[١٢].

والعادة، إذا خرج الخطيب لأداء صلاة الجمعة، يدخل المسجد الحرام من باب النبي، لابسا ثوب سواد مرسوما بذهب، معتما بعمامة سوداء مرسومة أيضا، وعليه طيلسان أسود، كل ذلك من كسوة السلطان ويمشي وعليه السكينة والوقار، وهو يتهادى بين رايتين سوداوين يمسكهما اثنان من المؤذنين، وبين يديه أحد القومة في يده الفرقعة، وهي عود مخروط أحمر قد ربط في رأسه جلد رقيق مفتول في طرفه عذبة صغيرة ينفضها في الهواء فيسمع لها صوت عال، يسمعه من بداخل المسجد الحرام وخارجه، فيكون إعلاما بوصول الخطيب، ولا يزال في نفضها الى أن يقرب من منبر له أربع قوائم من الخشب بها أربع بكرات كبار مصفحة بالحديد، ليسهل تحريكه، ويكون المنبر قد ألصق بجدار الكعبة الذي يقابل المقام بين الحجر الأسود والركن العراقي، فيعرج على الحجر الأسود فيقبله، ثم يدعو عنده، ثم يتوجه إلى المنبر، والمؤذن الزمزمي - رئيس المؤذنين بالمسجد الحرام - ساع أمامه لابسا السواد وعلى عاتقه السيف ممسكا به بيده، وتركز الرايتان في حلقتين على جانبي باب المنبر . فعند صعود الخطيب أول درجة من درج المنبر يقلده المؤذن السيف، فيضرب بنصل السيف ضربة في الدرج يسمع بها الحاضرين، ثم يضرب في الدرجة الثانية ثم الثالثة، فإذا استوى في أعلى الدرجات ضرب ضربة رابعة، ووقف داعيا بدعاء خفي مستقبلاً الكعبة، ثم يقبل على الناس فيسلم عن يمينه وشماله، ويرد الناس عليه السلام، ثم يقعد ويؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد، فإذا فرغ الآذان قام للخطبة، فيذكر الناس فيها ويعظهم، ثم يجلس الجلسة التي بين الخطبتين، ويضرب السيف ضربة خامسة، ثم يقوم

(٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٥.

(٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص١٤٢، ٤٠٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**. تحقيق محمد سيد جاد الحق، ٥أجزاء (القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٥هـ)، جـ١، ص٣١٧.

(٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٠١، ٢٦٨.

(٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٦١٠، ابن فهد، **الدرر**، ص٤٨/١.

(٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٤٨، ٤٦٩، ٤٨٠، ٥٠٩، جـ٤ ص٤٣٤؛ السخاوى، **التبر**، ص١٨٦؛ الكامليه، العباءة، والسمور، حيوان ثدى ليلي من آكلات اللحوم، يتخذ منجلده فرو ثمين ويقطن شمالي آسيا.

(٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٥٠٩ - ٥١٠؛ جـ٤ ص٥١٠.

(١٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٥.

(١١) ابن طولون، محمد، **مفاكهة الخلاف في حوادث الزمان**، تحقيق محمد مصطفى، جزءان، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ)، جـ٢، ص٢٣.

(١٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٨٠، ٥٢٨؛ الفاسي، **العقد**، جـ٥، ص١١؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ٢٩٠، ٢٩١.

للخطبة الثانية فيكثر فيها بالصلاة على النبي ﷺ ويقول في أثنائها اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بأصبعه الى الكعبة المشرفة، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد ما وقف بعرفة، ويترضى على الخلفاء الأربعة وعن سائر الصحابة وعن الحسن والحسين وأمهما وجدتهما خديجة، ثم يدعو للخليفة العباسي بمصر ثم للسلطان ثم لشريف مكة وأحيانا يدعو لغيرهم من أمراء وسلاطين البلاد الإسلامية.

فإذا فرغ من الصلاة خرج والرايتان عن يمينه وشماله والفرقعة أمامه على الصفة التي دخل بها، إشعارا بانقضاء الصلاة، ثم يعاد المنبر إلى موضعه عند المقام.[١٣] كما أن على الخطيب أيضا أن يدعو للسلطان المتوفي ويدعو للسلطان المعين أيضا.[١٤]

أما في صلاة العيدين، فيدخل الخطيب الى المسجد الحرام بالطريقة نفسها التي يدخل بها في صلاة يوم الجمعة، إلا أنه يبدأ بالصلاة خلف المقام ثم يصعد المنبر للخطبة.[١٥]

أما في اليوم السابع من ذي الحجة فيلقى الخطيب خطبه بعد صلاة الظهر يعلم الناس فيها مناسكهم، ويخبرهم بيوم الوقفة.[١٦] وفي اليوم التاسع (يوم عرفة) يقف الخطيب قريبا من الموضع الذي وقف فيه النبي ﷺ فيخطب ويصلي بالناس الظهر والعصر جمعا وقصرا.[١٧] كذلك يخطب الخطيب في يوم النحر ويوم النفر الأول بمسجد الخيف بمنى، وهذه عادة متقطعة، ولا يقوم بها كل الخطباء.[١٨]

أما في صلاة الاستسقاء، فيدخل الخطيب إلى المسجد الحرام بنفس الهيئة إلا أنه يلبس ثيابا بيضاء، فيخرج مقام إبراهيم ويوضع على عتبة باب الكعبة، ويخرج مصحف عثمان من خزانته في قبة العباسية غند بئر زمزم، ويقف إزاء المقام فتكون إحدى دفتيه على المقام والثانية على الباب، ثم ينادى بالصلاة جامعة، فيصلى الخطيب خلف المقام المتخذ مصلى ركعتين ثم يصعد على المنبر وقد ألصق الى جدار الكعبة فيخطب.[١٩]

كذلك على الخطيب إمامة المصلين في صلاة الخسوف،[٢٠] وصلاة الكسوف،[٢١] وصلاة الجنازة والصلاة على الغائب.[٢٢]

ويدخل ضمن اختصاصات وظيفة الخطيب في المسجد الحرام وظيفة الخطابة في جدة، لذلك يجعل الخطيب له نائبا هناك.[٢٣]

ولخطيب المسجد الحرام مكانة كبيرة في نفوس المسلمين على مختلف طبقاتهم، لذلك لا يتولى هذا المنصب عادة إلا كبار علماء مكة الشافعيين أو أحد أفراد أسرة اشتهرت بالعلم في مكة، وتكاد تنحصر وظيفة الخطابة في المسجد الحرام في ثلاث أسر مكية اشتهرت بكثرة علمائها وهي الأسرة الطبرية والنويرية والظهيرية.

وللخطيب مكانة كبيرة عند سلاطين الدولة المملوكية، فقرار تعيينه يصدر من قبل السلطان، ويرسل السلطان له مع القرار خلعة تشريف، تستمر هذه الخلعة ترسل كل سنة للخطيب هدية من

---

(١٣) ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، **رحلة ابن جبير** (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٤هـ)، ص ص ٧٠ ـ ٧٤؛ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، **رحلة ابن بطوطة** (بيروت: دار التراث، ١٣٨٨هـ)، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٧؛ ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ٥١٠ ـ ٥٢٦؛ المقريزى، أحمد بن علي، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، ٤أجزاء في ١٢ مجلداً (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٦ ـ ١٩٧٣م)، جـ٤ مجـ١، ص ص ٢٤٠ ـ ٢٤١، جـ٤، مجـ٢، ص٦٦٣؛ الفاسي، **شفاء**، جـ٢، ص٣٩٩، الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٣٠٣.

(١٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٧٧، ٥٧٩.

(١٥) ابن جبير، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٥؛ ابن بطوطة، ص١٦٣.

(١٦) ابن جبير، ص٤٩؛ ابن بطوطة، ص ١٦٤.

(١٧) ابن جبير، ص١٦٥؛ ابن بطوطة، ص١٥٢.

(١٨) ابن جبير، ص١٦٥؛ ابن فهد؛ **اتحاف**، جـ٤، ص ص٤٩٣ ـ ٤٩٤؛ السخاوى، **التبر**، ص١٤٨؛ ابن فهد، **الدرر**، ص٤٩/١؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ثمانية أجزاء (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، جـ٨، ص ٧٤، ١٤٨.

(١٩) ابن جبير، ص١٣٨؛ ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص ٤٠٠.

(٢٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٨٢، ٦٢٣.

(٢١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥١٤، ٥١٥.

(٢٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٧٣.

(٢٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٥٥.

السلطان.[٢٤] أما إذا تولى سلطان جديد السلطنة في مصر فالعادة أن يرسل خلع لأعيان مكة ومن ضمنها خلعة للخطيب.[٢٥]

وللخطيب أيضا مكانة كبيرة عند سلاطين وأمراء الدول الإسلامية الأخرى، فعادة ترسل للخطيب الهدايا والخلع من هؤلاء، وبعض هذه الهدايا تكون سنوية مثل الهدية السنوية التي يرسلها له حكام اليمن،[٢٦] أحيانا.

ولمنصب الخطابة هذا مكانة كبيرة أيضا في نفوس علماء مكة، لذلك كان دائما مصدر من مصادر التنافس بينهم للحصول عليه، فكل واحد منهم يسعى للحصول عليه بكل ما أوتي من قوة وبأساليب وطرق مختلفة منها الطلب من كبار رجال الدولة بالتوسط عند السلطان لتعيينه.[٢٧]

ولعظم مكانة الخطيب في المجتمع المكي، نجد أن قرار تعيينه، يقرأ في المسجد الحرام ويحضر القراءة أعيان مكة. وإذا حل موعد خطبته يخرج الخطيب من بيته في موكب مهيب يحف به جماعة من أعيان مكة وعلمائها.

أما مكانة الخطيب عند عامة المسلمين في البلاد الإسلامية الأخرى فهي تماثل مكانته عند أهل مكة، فإذا حل الخطيب في أحد البلاد الإسلامية، فانه عادة يشرف ويكرم بالقاء خطبة الجمعة في ذلك البلد وإمامة المصلين في هذه الفريضة، لذلك نجد الخطيب المكي عند إلقائه خطبته في ذلك البلد يكون بنفس الزي الذي يلبسه عادة عند إلقائه الخطبة في المسجد الحرام.[٢٨]

وبالإضافة إلى تولى الخطيب لمنصب الخطابة في المسجد الحرام، نجد أن الخطيب قد يتولى وظائف دينية أخرى. من هذه الوظائف:

- القضاء،[٢٩] بل إننا نجد عادة أكثر من يتولى منصب الخطابة في مكة هم قضاتها.[٣٠]

- الإمامة بالمسجد الحرام.[٣١]
- نظر المسجد الحرام.[٣٢]
- الحسبة.[٣٣]
- التدريس.[٣٤]
- نظر الأوقاف.[٣٥]
- نظر الأربطة.[٣٦]
- نظر الميضأة.[٣٧]

بل أننا نجد أن أغلب الخطباء تجمع لهم عدد كبير من هذه الوظائف في الوقت نفسه، بالإضافة إلى توليه منصب الخطابة.[٣٨]

كما أن الخطيب أحيانا يكلف بالاشتراك بلجنة لتوزيع بعض الصدقات على أهل مكة، ويكون أعضاء هذه اللجنة عادة عدد من أعيان مكة وعلمائها من أصحاب الوظائف الدينية.[٣٩]

كما أن الخطيب المكي أحيانا يعين خطيبا في المسجد النبوي ولكن ليس في الوقت نفسه الذي هو معين فيه بخطابة المسجد الحرام.[٤٠]

ونظرا للتنافس الشديد على منصب الخطابة بين علماء مكة، نجد أن السلطان يعين، أحيانا، اثنين في هذه الوظيفة، ويترك أمر اختيار أحدهما لشريف مكة ولقائد الحامية المملوكية بمكة.[٤١]

---

(٢٤) السخاوي، **التبر**، ص١٨٦.
(٢٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٥٤.
(٢٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٩١؛ الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٣٠٢.
(٢٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٨٧.
(٢٨) ابن طولون، جـ٢، ص٢٣.
(٢٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٨٦، ٢٩٦، ٣١٥.
(٣٠) ابن فهد، **الدرر**، ص١٥٠/١.
(٣١) الفاسي، **العقد**، جـ٤ ص٦٠٣.
(٣٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٩.
(٣٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣٤٥.
(٣٤) الفاسي، **العقد**، جـ١ ص٣٠١.
(٣٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٠٦.
(٣٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٠٦.
(٣٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٦١٦.
(٣٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣٤٥، ٤٠٦.
(٣٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٧٣.
(٤٠) الفاسي، **العقد**، جـ٣، ص١٢٣.
(٤١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٤٩ ـ ٥٥٠.

وإذا أراد السلطان أن يرضي الجميع، فإنه عادة يشرك شخصان في القيام بمهام الوظيفة بحيث يقومان بالعمل بالتناوب.(٤٢) بل قد يصل الأمر بأن يجمع السلطان أربعة أشخاص في وقت واحد للقيام بالوظيفة نفسها.(٤٣) وهذا بلا شك يحدث كثير من التنازع بين المشتركين لذا يتوجب الأمر إذا زاد النزاع، ولم يستطع المتنازعون حل مشكلتهم أن يتدخل الشريف لحل النزاع وذلك بأن يمنع المشتركين من أداء وظيفتهم، ويطلب من أحد علماء مكة القيام بالمهمة بدلا عنهم، ثم يرسل للسلطان يخبره بالمشكلة ويطلب منه الفصل فيها.(٤٤)

وإدراكا من السلطان أن المشاركة في منصب الخطابة يحدث مشكلات بين الشركاء، فإنه عادة ما يخفف من حدة هذه المشكلات بأن يعين في هذا المنصب شركاء من أسرة واحدة.(٤٥)

وللخطيب أن يجعل له نائبا، وعادة يعين الخطيب أحد أقاربه فيه، بل أنه غالبا يعين ابنه،(٤٦) أو أخيه،(٤٧) وذلك حتى يقلل من المشكلات التي تحدث عادة بين الخطيب ونائبه، ولكن على الرغم من هذا التحرز، نجد أن هناك مشكلات تحدث عادة بين الخطيب ونائبه رغم قرابتهم.(٤٨)

وهذا لا يعنى أن تعيين نائب الخطيب، لا يصدر بقرار سلطاني، ذلك أنه في بعض الأحيان يعين السلطان الخطيب ونائبه في قرار واحد.(٤٩)

ويبدو أن منصب النيابة للخطيب مغريا لكثير من علماء مكة، إذا لم يستطيعوا الحصول على منصب الخطابة نفسه، بدليل أننا نجد كثيرا منهم يسعى بطلب التوسط للحصول عليه.(٥٠)

أما إذا كان الخطيب متوليا - بالإضافة إلى منصب الخطابة - وظائف دينية أخرى، فإنه عادة يجعل له نائبا واحدا ينوب عنه في جميع وظائفه.(٥١) وأحيانا يجعل لكل وظيفة من وظائفه نائبا، بحيث يكون له نائبا ينوب عنه في وظيفة الخطابة، ونواب آخرون في وظائفه الأخرى.(٥٢)

أما في حالة اشتراك أكثر من واحد في منصب الخطابة، فعادة يتفق الشريكان على أن يجعلوا لهم نائبا واحدا.(٥٣) وإذا مات أحد الشريكين، فإن النائب عادة يحل محل منيبه المتوفى ويقاسم الشريك الثاني الوظيفة، وهذا بالأخص في حالة إذا كان المتوفى والد النائب.(٥٤) أما إذا عزل الخطيب فإن نائبه عادة يعزل معه.(٥٥)

أما عزل الخطيب، فلابد أن يصدر به قرار سلطاني.(٥٦) وبعض الأحيان يفوض السلطان أحد رجال دولته القادمين من مصر إلى مكة وخصوصا أمراء الحجاز بعزل الخطيب عن وظيفته، ويفوض إليه السلطان أيضا أمر تعيين خطيب غيره. ولكن هذا لا يتم إلا بالمشاورة بينه وبين شريف مكة.(٥٧)

أما الخطيب المعين بدل الخطيب المعزول، فإنه عادة يكون سعيد الحظ، خاصة إذا كان للخطيب المعزول وظائف أخرى غير وظيفة الخطابة، فإنه يخلفه في جميع وظائفه لأن السلطان إذا عزل أحد أصحاب الوظائف الدينية بمكة، فان قرار العزل

(٤٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٢، ص٥٨٢، ٥٠٢، ٥٦٧؛ ابن فهد، **الدر**، ص٤١/أ.

(٤٣) ابن فهد، **الدر**، ص٨٣/ب؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ١٢ جزء (بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت)، جـ٢، ص١١٦٩.

(٤٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٥٨٢ - ٥٨٣؛ ابن فهد، **الدر** ص١٤١/ب؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، جـ٩، ص٢١٤.

(٤٥) ابن فهد، **الدر**، ص٩٤/ب؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٩، ص١٩٣.

(٤٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣١٥.

(٤٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٣٤.

(٤٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٦٩.

(٤٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٤٩.

(٥٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٦٩.

(٥١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٦٩.

(٥٢) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٢٨١، ٢٨٥.

(٥٣) ابن فهد، **الدر**، ص٨٣/ب، ٩٤/ب؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٩، ص١٩٣.

(٥٤) ابن فهد، **الدر**، ص٨٣/ب.

(٥٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٣٧.

(٥٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥١٦.

(٥٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٣٧.

يشمل جميع وظائفه، ولا يخص وظيفة معينة.(٥٨)

كذلك الحال عند موت الخطيب، فإن الذي يخلفه عادة، يخلفه في جميع وظائفه،(٥٩) إلا إذا وزع السلطان وظائفه بين عدد من الأشخاص.(٦٠)

وعادة يخلف الخطيب المتوفي في المنصب أحد أقاربه،(٦١) وبالأخص أقرب القريبين إليه كابنه(٦٢) أو أخيه.(٦٣) وإذا كان السلطان راضيا عن الخطيب المتوفي فإنه يعين محله ابنه، حتى ولو كان هذا الابن قاصرا.(٦٤)

هذا عن حال الخطيب الرسمي، الذي يعينه السلطان، والذي يكون سنياً ومن أتباع المذهب الشافعي. إلا أننا نجد أن أحد أشراف مكة غالى في إظهار مذهب الشيعة الزيدية، فأقام خطيبا بالمسجد الحرام من أتباع هذه الفرقة يدعو لها ويناصرها سنة ٧٥٤هـ، مما أدى إلى غضب أهل مكة عليه وعلى خطيبه، مما جعل السلطان يسارع في إنهاء هذا الوضع بالقبض على الخطيب بعد القبض على الشريف الذي عينه.(٦٥) بل أحيانا يحصل أذى للخطيب الرسمي من بعض أشراف مكة، خاصة إذا ساءت العلاقات بين الشريف والسلطان، فإن الشريف أحيانا يمنع الخطيب من إلقاء خطبته وهو داخل في موكبه الى المسجد الحرام(٦٦)، بل أحيانا يسلط عليه من يرجمه في أثناء الخطبة.(٦٧)

والعادة عند أهل مكة في ليالى الوتر من العشر الأواخر من رمضان أن يختم فيها أبناؤهم القرآن الكريم، ويحضر الختم القاضي والفقهاء والأعيان، ويكون الذين يختم بهم أحد أبناء أعيان أهل مكة فإذا ختم الصبى، نصب له منبر مزين بالحرير، وأوقد الشمع، وخطب. فإذا فرغ من خطبته استدعى ابوه الناس إلى منزله فأطعمهم الأطعمة الكثيرة والحلوى.(٦٨) إلا أن ابن فهد ذكر أن الأمير تغري برمش التركماني قائد الحامية المملوكية بمكة، أبطل هذه العادة سنة ٨١٨هـ.(٦٩)

كما ذكر ابن بطوطة أيضا أن إمام المقام الشافعي في العادة يختم قرأءة القرآن الكريم في صلاة التراويح في ليلة السابع والعشرين من رمضان، وبعد انتهاء قراءة الختمة يقوم بإلقاء خطبة. أما بقية أئمة المقامات فيختمون في ليلة التاسع والعشرين من رمضان، ويفعلون مثل الشافعي بإلقاء خطبة بعد الختم.(٧٠)

الإمـــام

الإمام هو الذي يؤم المصلين في الصلوات الخمس والتراويح في رمضان. والإمامة في الصلاة لها مكانة كبيرة عند المسلمين، حيث كان يقوم بها الرسول ﷺ في حياته، ثم أصبحت ضمن اختصاصات خلفائه ﷺ وهي أيضا من أهم اختصاصات أمراء البلدان وحكام الأقاليم في العهود الإسلامية الأولى.

وتأخذ الإمامة في الصلاة أهميتها من مكانة الصلاة نفسها في الدين الإسلامي، فهي الركن الثاني من أركانه، بل هي عمود هذا الدين، لا يصلح إسلام إنسان إلا بها. وقد بين الرسول ﷺ أحق الناس بالإمامة إذ قال ـ عليه الصلاة والسلام: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة...» إذ جعل ـ عليه الصلاة والسلام ـ أحق الناس بالإمامة أحفظهم لكتاب الله، فإن كانوا في الحفظ سواء فأكثرهم تفقها في الدين، فإن كانوا في

(٥٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٢، ص٣٥٨.
(٥٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٢، ص٨٨.
(٦٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص١٠٤.
(٦١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٦٨.
(٦٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص١٤٢، ٤٠٦.
(٦٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٠١.
(٦٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٦١٠؛ ابن فهد، **الدر**، ص١/٤٨.
(٦٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٦٠ ـ ٢٦١، ٢٦٥؛ ابن حجر، جـ٢، ص٦٦؛ المقريزى، جـ٢، مجـ٣، ص٩٠٤.
(٦٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٥.
(٦٧) ابن حجر، جـ٢، ص٦٦؛ المقريزي، جـ٢، مجـ٣، ص٩٠٤.
(٦٨) ابن جبير، ص١٢٧؛ ابن بطوطة، ص١٦٢.
(٦٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٢٧.
(٧٠) ابن بطوطة، ص ص١٦٢ ـ ١٦٣؛ ابن جبير، ص ص١٣١ ـ ١٣٢.

الفقه سواء فأقدمهم هجرة أو أقدمهم إسلاما أو أكبرهم سنا.

ونظراً لأهمية الإمامة، فقد وضع الفقهاء المسلمون لها شروطا دقيقة لابد أن تتوافر فيمن يتولى هذه الوظيفة، وهذه الشروط بعضها مأخوذ من حديث الرسول ﷺ وبعضها مأخوذ ضمنا من ذلك الحديث. وهي تشبه - إلى حد كبير - الشروط التي وضعها الفقهاء للخطيب، إلا أن للخطيب شروط تختص به وللإمام أيضا شروط أخرى تختص به. ومن الشروط التي وضعها الفقهاء ويجب أن تتوافر في الإمام:

١ — أن يكون مسلما.
٢ — أن يكون بالغا.
٣ — أن يكون ذكرا.
٤ — أن يكون عاقلا.
٥ — أن يكون قارئا.
٦ — أن يكون سليما من الأمراض التي تنقض طهارته في الصلاة.
٧ — أن يكون سليم اللسان من العيوب النطقية.
٨ — أن يكون جسمه حال الصلاة قادرا على أداء حركات الصلاة وأفعالها.
٩ — أن يكون حال الصلاة طاهرا من الحدث والخبث.
١٠ — أن لا يكون مشهودا عليه بفسق أو بدعة أو مشكوكا في نسبا.

هذه بعض الشروط التي اتفق عليها بعض الفقهاء المسلمين، إلا أن بعضهم زاد على ذلك بتفضيل إمامة:

- الأحسن تلاوة وتجويدا.
- الأورع دينا.
- الأحسن خُلُقاً.
- الأحسن خِلْقَة.
- الأشرف نسبا.
- الأحسن صنعة.
- المتزوج.[٧١]

ولكن بعد انتشار الإسلام، وظهور المذاهب الفقهية المختلفة، وتعصب بعض المسلمين لها، بدأت تظهر في بعض البلدان مساجد بها أئمة على المذاهب المختلفة. وساعد على ذلك تعصب بعض الحكام لذلك، ومساعدتهم على انتشار مثل هذه الظاهرة.

بل وصل تعصب بعضهم أن لا يصلى مثلا شافعي خلف إمام حنفى والعكس كذلك، وينطبق ذلك على بقية الأئمة والمأمومين، رغم أن أئمة هذه المذاهب قد تتلمذ بعضهم على بعض، ويعتمدون على أصل واحد وهو كتاب الله وسنة نبيه، والاختلاف بينهم اختلاف لايؤدى بحال من الأحوال الى مثل هذه الفرقة التي ابتدعت في الدين والتي يتبرأ منها هؤلاء الأئمة.

وقد حارب كثير من علماء المسلمين على مختلف مذاهبهم هذه البدعة وانكروها حال ظهورها وأبوا أن يصلوا خلف إمام من مذهبهم، إلا أن بعض المتعصبين أيدها، مما أدى إلى جدل كبير بين المعارضين والمؤيدين، ويسعى كل منهم إلى مساندة ذوى النفوذ لهم.[٧٢]

وقد كان الناس في مكة يصلون في المسجد الحرام خلف إمام واحد يقف عند مقام إبراهيم - عليه السلام - إلى أن وصلت هذه البدعة الى مكة، فأنشئت حول الكعبة أربعة مقامات لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة (الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي) وأحيانا يضاف لها مقام خامس وهو مقام الشيعة الزيدية، يؤم في كل واحد منها إمام يصلي خلفه أتباع مذهبه.

ويبدو أن بداية إنشاء هذه المقامات في المسجد الحرام، كان في منتصف القرن الخامس الهجري تقريبا. وأكد الفاسي على وجود مقامات للشافعية والحنفية والمالكية والزيدية في المسجد الحرام في أواخر القرن الخامس الهجري، إلا أنه شك في وجود مقام للحنابلة هناك في ذلك الوقت ولكنه أكد على وجود المقام المذكور قبيل منتصف القرن السادس

(٧١) الجزيري، جـ١، ص ص٤٠٩ - ٤٢٩.

(٧٢) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٩٤.

الهجري، أي بعد حوالى مائة سنة تقريبا من إنشاء المقامات الأخرى.(٧٣)

ويقع المقام الشافعي، خلف مقام إبراهيم - عليه السلام - بقليل، أما المقام الحنفي فمكانه خلف حجر إسماعيل - عليه السلام -، ويقع المقام المالكي بين الركن الغربي والركن اليماني، أما الحنبلي فمقامه بين الركن اليماني والحجر الأسود.(٧٤)

ولايعرف موقع المقام الزيدى، فقد أهمل المؤرخون ذكر موقعه، وذلك ربما يعود لتقطعه وعدم استقراره. إلا أن ابن فهد ذكر أن إمام الزيدية في سنة ٧٢٥هـ والتي بعدها كان يصلي بين الركن اليماني والحجر الأسود.(٧٥)

أما صفة بناء هذه المقامات، فكان عبارة عن خشبتين موصول بينهما بأذرع شبه السلم تقابلهما خشبتان على تلك الصفة، قد عقدت الأخشاب على رجلين من الجص غير بائنة الارتفاع. واعترض في أعلى الخشب خشبة مسمرة فيها قد نزلت منها خطاطيف حديد فيها قناديل معلقة من الزجاج، وربما وصل بالخشبة المعترضة العليا شباك مشرجب بطول الخشبة.(٧٦) إلا أن هذا البناء تغير في سنة ٨٠٧هـ فصار عبارة عن اسطوانتين من حجارة، عليها عقد مشرف من أعلاه، وفيه خشبة معترضة، فيها خطاطيف للقناديل، ومابين الاسطوانتين من مقام الشافعي لا بناء فيه، وما بينهما من مقام المالكي والحنبلي مبني بحجارة مبيضة بالنورة، وفي وسط هذا البناء محراب. هذه كانت صفة بناء المقام الشافعي والمالكي والحنبلي، أما الحنفي فكان له أربع أساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون مزخرف، وأعلى السقف مما يلى السماء مدكوك بالآجر مطلى

(٧٣) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٩٤.
(٧٤) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٣٩٢ - ٣٩٣؛ ابن جبير، ص ص٧٨ - ٧٩؛ ابن بطوطة، ص١٥٥.
(٧٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص١٨٠.
(٧٦) ابن جبير، ٧٩، ابن بطوطة، ص١٥٥.
(٧٧) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٣٩١ - ٣٩٢.

بالنورة، وبين الاسطوانتين المتقدمتين بناء فيه محراب مرخم، وكان بناؤه على هذه الصفة قبل بناء المقامات الأخرى بقليل أي في أواخر سنة ٨٠١هـ وأوائل سنة ٨٠٢هـ.(٧٧)

وفي سنة ٨٣٦هـ كشف الأمير سودون المحمدي ناظر الحرم سقف المقام الحنفي، وعمره وزخرفه، ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب مبيضة تظهر من فوق ولا أثر لها من داخل المقام وفرش فيه حجارة حمراء ثم جدد مرارا كان آخرها سنة ٩١٧هـ.(٧٨)

أما كيفية صلاة الائمة بهذه المقامات فأنهم يصلون مرتبين الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي، وقد كان من قبل يصلي المالكي قبل الحنفي، إلا أنه بعد سنة ٧٩٠هـ تقدم عليه الحنفي وهذا كله في غير صلاة المغرب.

أما في صلاة المغرب فإنهم يصلونها جميعا في وقت واحد لضيق وقتها، كل إمام يصلى بجماعته ويحصل نتيجة لذلك اختلاط للمصلين ولبس لكثرة أصوات المبلغين، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي، وسجد الحنفي بسجود الحنبلي، فترى كل أذن مصغية لصوت أمامها أو صوت مبلغه مخافة السهو، ومع هذا يحدث السهو والاختلاط على كثير من الناس.(٧٩)

وقد أنكر كثير من العلماء هذا العمل الذي يحدث بلبلة للمصلين، فأمر السلطان فرج في موسم سنة ٨١١هـ بأن يصلي الناس في المسجد الحرام المغرب خلف الإمام الشافعي بمفرده دون بقية الأئمة، إلا أن هذا الأمر لم يستمر طويلا ذلك أنه في موسم سنة ٨١٦هـ عاد الوضع كسابقه بالنسبة لصلاة المغرب بأمر السلطان الملك المؤيد ابى النصر شيخ.(٨٠)

أما في صلاة التراوايح في ليالي رمضان، فكل إمام

(٧٨) ابن ظهيرة، محمد جار الله بن محمد، **الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف** (مكة المكرمة: دار الباز، ١٣٩٣هـ)، ص١٢١.
(٧٩) ابن جبير، ص ص٧٨ - ٧٩؛ ابن بطوطة، ص١٥٥؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٩٣.
(٨٠) الفاسي، **شفاء**، الجزء الأول، ص٣٩٤؛ ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣ الثالث، ص٤٦٦، ٥٠٩.

من هؤلاء الأئمة الأربعة يؤم جماعته في المسجد الحرام، وعليه أن يقرأ في هذه الصلاة القرآن الكريم كاملا مقسما على ليالي رمضان، بحيث يقرأ كل ليلة جزءا. وأول من يختم القرآن الكريم من الأئمة هو الإمام الشافعي وذلك في ليلة سبع وعشرين، ويحتفل لهذه المناسبة احتفالا عظيما، يبدأ الاستعداد له قبل يومين أو ثلاثة، حيث تقام أمام مقام الشافعية خشب عظام بائنة الارتفاع موصول بين كل ثلاث منها بأذرع من الأعواد الوثيقة، فاتصل منها صف يكاد يحتل نصف المسجد الحرام عرضا، ثم عرضت بينها ألواح طوال مدت على الأذرع المذكورة، وعلت طبقة منها طبقة أخرى حتى استكملت ثلاث طبقات، فكانت الطبقة العليا منها خشبا مستطيلة مغروزة كلها مسامير محددة الأطراف لاصقا بعضها ببعض نصب عليها الشمع، والطبقتان تحتها ألواح مثقوبة ثقبا متصلا وضعت فيها زجاجات المصابيح ذوات الأنابيب المنبعثة من تحتها. وتدلت من جوانب هذه الألواح والخشب ومن جميع الأذرع المذكورة قناديل كبار وصغار وتخللها أشباه الأطباق المبسوطة من الصفر، وقد انتظم كل طبق منها ثلاث سلاسل تقلها في الهواء، وخرقت كلها ثقبا ووضعت فيها الزجاجات ذوات الأنابيب من أسفل تلك الأطباق الصغرية لايزيد منها انبوب على انبوب في الطول، وأوقدت المصابيح، ووصلت بالحطيم الثاني الذي يقابل الركن الجنوبي من قبة زمزم خشب على الصفة المذكورة اتصلت الى الركن المذكور، وأوقد المشعل الذي في رأس القبة المذكورة، وصففت طرة شباكها شمعا مما يقابل الكعبة الشريفة، وحفت مقام إبراهيم - عليه السلام - بمحراب من الأعواد المشرجبة المخرقة محفوفة لأعلى بمسامير حديدة الأطراف على الصفة المذكورة، جللت كلها شمعا. ونصب عن يمين المقام ويساره شمع كبير الحجم في أوانى تناسبها كبراً، وضعت تلك الأواني على كراسي. وجلل جدار الحجر كله شمعا في أواني من الصفر، وأحدقت بالحرم المشاعيل، وأوقد جميع ماذكر.

واحدق بشرفات المسجد الحرام كلها صبيان، وقد وضعت بيد كل منهم كرة من الخرق المشبعة بالزيت، فوضعوها متقدة في رؤس الشرفات، وأخذت كل طائفة منهم ناحية من نواحى المسجد الأربع، فجعلت تباري صاحبتها في سرعة إيقادها، وفي أثناء محاولتهم لذلك يرفعون أصواتهم بيارب يارب على لسان واحد، فيرتج المسجد الحرام لأصواتهم.

ثم يتقدم الإمام الشافعي فيصلى العشاء الآخرة ثم يبدأ بصلاة التراويح، ويبتدىء بقراءة سورة القدر، واليها كان انتهاء قراءة الائمة في الليلة التي قبلها، وفي تلك الساعة يمسك جميع الأئمة من قراءة التراويح، تعظيما لختمة المقام، ويحضرونها متبركين، فيختم الإمام الشافعي في تسليمتين، ثم يقوم خطيبا مستقبلا المقام والكعبة المشرفة، فإذا فرغ من ذلك عاد بقية الأئمة إلى صلاتهم وانفض الجمع.

أما ختم بقية الأئمة فكيون عادة ليلة التاسع والعشرين من رمضان ويلقون أيضا بعد الختم خطبة، ويكون أول المختتمين في هذه الليلة الإمام المالكي حيث تقام أعواد أمام محرابه عددها ستة على هيئة دائرة محراب مرتفعة عن الأرض بدون القامة يعترض على كل اثنتين منها عود مبسوط قد أدير بالشمع أعلاها، وأحدق أسفلها ببقايا شمع كثير، وأحدق أيضا داخل تلك الدائرة شمع آخر متوسط، ونصبت للشمع في المحراب أثافي من الأحجار بدلا عن الأواني. لذلك جاء هذا الاحتفال مختصرا عن حفل ختم إمام الشافعية، ثم يتلو الإمام المالكي بقية الأئمة حيث كلهم يختمون في هذه الليلة.(٨١)

أما كيفية أداء هؤلاء الأئمة لصلاة التراويح، فإن كل إمام يصلى بجماعة عشرين ركعة، أما إمام الشافعية فإن له وضع خاص، ذلك بأنه يطوف حول الكعبة سبعة أشواط قبل البدء في أداء صلاة التروايح، وبعد فراغه من الطواف تضرب الفرقعة التي ذكرنا أنها تكون بين يدي الخطيب يوم الجمعة، وذلك إعلانا ببدء الصلاة ثم يصلى ركعتين ويطوف بعدها أسبوعا وهكذا إلى أن يتم عشرين ركعة، ثم يصلي الشفع والوتر. وعادة يتناوب الإمامة في كل مقام

(٨١) ابن جبير، ص ص ١٣٠ - ١٣٢؛ ابن بطوطة، ص ١٦٢.

عدة أئمة ابتداء من صلاة الفريضة حتى تنتهي صلاة التراويح.[٨٢]

وجميع أئمة المقامات يعينون من قبل السلطان، ولا يمارسون عملهم إلا بعد قراءة مرسوم تعيينهم في المسجد الحرام وبحضور جمع من أعيان مكة.[٨٣] أما في حالة شغور منصب إمامة أحد المقامات بموت الإمام مثلا، فإن لقاضي مكة أن يعين أحدا مكانه حتى يرد أمر السلطان، إما بإقراره أو تعيين غيره.[٨٤] ولكن لشريف مكة الحق في منع الإمام المنصب من قبل القاضي من أداء عمله، وتعيين غيره. وكل ذلك يكون في الفترة التي تسبق وصول قرار السلطان إلى مكة بتعيين إمام مكان الإمام المتوفي فمتى وصل قرار السلطان بطل قرار كل من الشريف والقاضي.[٨٥]

والعادة ان يفوض السلطان قاضي القضاة الشافعي بمصر بتسمية الشخص المطلوب تعيينه لمنصب الإمامه بأحد المقامات بالمسجد الحرام. فيصل الى مكة مرسوم السلطان وتفويض من القاضي الشافعي بمصر للإمام المعين.[٨٦]

والشروط التي ذكرها الفقهاء، والتي يجب أن تتوافر في الإمام، عادة لا يتقد بها في هذا العهد، ذلك أن التعيين في هذه الوظيفة يخضع لرغبة السلطان، ومن حوله، مما يجعل التعيين بها تدخل فيه الوساطة والمحسوبية، فعادة الذي يتولى بعد وفاة الإمام ابنه،[٨٧] أو أخوه[٨٨] أو بصفة عامة أحد اقاربه،[٨٩] بل إننا نجد أحيانا أن السلطان يعين ابنا رضيعا في السنة الأولى من عمره للإمام المتوفي في وظيفة والده، على أن يقوم أحد أقاربه بمهام الوظيفة حتى يبلغ الصغير.[٩٠] ومع ذلك لا يعين في وظيفة الإمامة شخص امرد، ولو كان كفء للوظيفة.[٩١]

ونظراً لكثرة المتنافسين على وظيفة الإمامة، نجد السلطان يعين أكثر من إمام لكل مقام، على أن يتقاسموا راتب الوظيفة بينهم.[٩٢] وكثيرا ما تحدث مشكلات بين الأئمة المشتركين ولحل مثل هذه المشكلات عادة يعقد مجلس يحضره قائد الحامية المملوكية والقاضي الشافعي وغيره من الأعيان، فتحسم المشكلة لأحد الطرفين، أو يختار شخص آخر، وخلال تدارس المشكلة يمنع الأئمة المتنازعون عن العمل ويعين شخص آخر يقوم بالعمل حتى تحل مشكلتهم.[٩٣]

وبالإضافة إلى تولى الإمام الإمامة في أحد المقامات في المسجد الحرام، فإن بعض الأئمة يولون الإمامة في المسجد النبوي بالمدينة،[٩٤] وأحيانا يولون الإمامة بالمسجد الأقصى بالقدس.[٩٥] فيسمى الأول إمام الحرمين ويسمى الثاني إما الثلاثة مساجد. ولكن يجب التنبيه أنه يلى الإمامة في هذه المساجد في أوقات مختلفة، وليس في وقت واحد.

ولبعض الأئمة في المسجد الحرام وظائف دينية أخرى الإضافة إلى الإمامة منها:

- الخطابة.[٩٦]
- القضاء.[٩٧]
- الإعادة.[٩٨]

---

(٨٢) ابن جبير، ص ص١٢٢ ـ ١٢٣؛ ابن بطوطة، ص ص ١٦١ ـ ١٦٢.

(٨٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٤٠٢، ٥٣٨؛ الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٣١٢.

(٨٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٠٢.

(٨٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٠٢؛ الفاسي، **العقد**، جـ٣،ص ٩٨.

(٨٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٥٣٨ ـ ٥٤٩.

(٨٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص١٩٨، ٣١٤؛ الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٢٠٨.

(٨٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص١٠٢، ٢٩٣.

(٨٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٩.

(٩٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣١٤، جـ٤، ص٥٠٥؛ السخاوى، **الضوء**، جـ٥، ص٢٤٤؛ الفاسي، **العقد**، جـ٦، ص١٨٧.

(٩١) ابن فهد، **الدر**، ص٦٠/أ؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٤، ص٩١.

(٩٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٥٥، جـ٤، ص٤١٢.

(٩٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤١٥.

(٩٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٣.

(٩٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص١٢٣؛ الفاسي، **العقد**، جـ٥، ص٢٦٧.

(٩٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٨٨، ١١٥.

(٩٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص١٩٨.

(٩٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٩٤؛ الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٣٥٠، والمعيد هو الذي يتولى إعادة شرح ما غمض من شرح الأستاذ لتلاميذه.

- الحسبة.[٩٩]
- التدريس.[١٠٠]
- نظر المدارس.[١٠١]
- نظر الأربطة.[١٠٢]

ولا يعزل الإمام إلا بقرار سلطاني يقرأ في المسجد الحرام، أمام جمع من الأعيان.[١٠٣]

وللإمام ان يجعل له نائبا، وعادة يكون ولده،[١٠٤] أو أخوه،[١٠٥] أو قريبه،[١٠٦] كما أن للإمام الحق أن يتنازل عن حقه في الإمامة إذا كان له شريكا في الوظيفة، وعادة يكون التنازل لمرض أو لعجز عن القيام بواجبات الوظيفة، ويكون غالبا المتنازل له هو ابنه،[١٠٧] أوقريبه[١٠٨] وأحيانا يكون النائب ليس من أسرة الإمام.[١٠٩]

أما إذا كان في وظيفة الإمامة عدة شركاء، فأنهم عادة يتفقون على إقامة نائب واحد لهم جميعا.[١١٠] أما إذا مات أحد المشتركين في منصب الإمامة فإن أولاده عادة يخلفونه في نصيبه في الوظيفة، ويدخلون شركاء مع بقية الشركاء.[١١١]

وعادة يتفق الإمام مع نائبه في نصيبه من مرتب الإمامة، فأحيانا يتفقان على الثلث وأحيانا تبلغ إلى حد النصف.[١١٢]

ولأئمة المقامات في المسجد الحرام عادة مكانة مميزة عند أهل مكة، فهم عادة يحضرون في جميع المناسبات الدينية، كما أنهم يشاركون في المجالس التي تعرض فيها بعض المشكلات التي تحدث في مكة لتدارسها وإيجاد الحلول المناسبة لها.[١١٣]

كما أن بعض الأئمة تأتيهم الهدايا الكثيرة من اتباع مذهبهم من الحجاج،[١١٤] كما تأتيهم الهدايا من حكام وأمراء بعض الدول الإسلامية الأخرى.[١١٥]

أما الإمام المالكي فله وظيفة خاصة به، وهي الإشارة للحجاج بالانصراف من عرفات يوم الوقفة بعد أن يتحقق من غروب الشمس.[١١٦]

هذا بالنسبة لوضع الأئمة الرسميين الذين يعينون من قبل السلطان، ولكننا نجد أن علماء مكة عادة يدربون أبنائهم على إمامة المصلين في أحد هذه المقامات، وخاصة بعد حفظ أولادهم للقرآن الكريم في صلاة التراويح في ليالي رمضان،[١١٧] رغم أن ابناءهم صغار. كما أن هناك عدد من الأئمة في المسجد الحرام يعينون من قبل شريف مكة، ولكن مثل هؤلاء لا يصل لهم مرتب على إمامتهم من السلطان.[١١٨] كم أن هناك عدد من الأئمة يؤمون الناس في صلاة التراويح تطوعا.[١١٩]

وقد كان بالمسجد الحرام مقام للزيدية بين الركن اليماني والحجر الأسود، يؤمهم فيه إمام زيدى، وكان يدعو لصاحب اليمن بعد صلاة الفجر والمغرب، وقد

(٩٩) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص١٣٥.
(١٠٠) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٢٣١، ٣٥٠.
(١٠١) ابن فهد، **الدر**، ص٨٦/أ؛ السخاوى، **الضوء**، جـ١٠، ص١٢.
(١٠٢) السخاوى، **الضوء**، جـ١٠، ص٤٥.
(١٠٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٣٥؛ الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٢٨٧، ٣١٢.
(١٠٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣٩١.
(١٠٥) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٢٨٤.
(١٠٦) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٤١٢.
(١٠٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٥٥؛ الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٢٨١.
(١٠٨) الفاسي، **العقد**، جـ٣، ص٦١٠.
(١٠٩) السخاوى، **الضوء**، جـ٣، ص١٧٣، جـ٤، ص٩١.
(١١٠) الفاسي، **العقد**، جـ٥، ص٥٣٥؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٥، ص١٠٢.
(١١١) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٢٦٨، جـ٦، ص١٣٤.
(١١٢) ابن فهد، **الدر**، ص ص٢٦/أ، ٣٤/ب، ٣٥/أ.
(١١٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٥٦؛ السخاوي، **التبر**، ص١٧٥.
(١١٤) الفاسي، **العقد**، جـ٦، ص١٣٣.
(١١٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٨١.
(١١٦) ابن جبير، ص١٥٣؛ ابن بطوطة، ص١٦٥.
(١١٧) السخاوى، **الضوء**، جـ٤، ص٢٧٢؛ الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٣٣٢.
(١١٨) الفاسي، **العقد**، جـ٨، ص٨١.
(١١٩) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٣٣٢؛ ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٠٨؛ ابن العماد، جـ٧، ص٣٦١.

منع مرارا في سنوات ٧٠٢، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٥٤.[١٢٠]

سـادن الكعبة

والسـادن وظيفتـه خدمة الكعبة المشرفة، وتولى أمرها، وفتح بابها وإغلاقه. والسدانة وظيفة قديمة يعود تاريخها إلى بداية بناء الكعبة نفسها، فقد كانت بيد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ، ثم في أولادهما، ثم أصبحت بيد القبائل التي حكمت مكة حتى آلت أمور مكة لقصى بن كلاب، ثم وزع قصي مكة بين أولاده، فجعل لأبنه عبد الدار السدانة، ثم جعل عبد الدار الحجابة بعده لأبنه عثمان، ثم وليها بعد عثمان ابنه عبد العزي، ثم وليها بعد عبد العزى ابنه أبي طلحة عبد الله، ثم وليها ولده من بعده حتى كان فتح مكة، فقبضها رسول الله ﷺ من أيديهم وفتح الكعبة ودخلها، ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملا على المفتاح، فقال له العباس بن عبد المطلب بأبي أنت وامي يارسـول الله أعـطنـا الحجابة مع السقـايـة، فأنـزل الله عز وجل على نبيه ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فما سمعتها من رسول الله قبل تلك الساعة، فتلاها، ثم دعا عثمان بن طلحة، فدفع اليه المفتاح، وقال غيبوه، ثم قال: خذوها يابني ابي طلحة بأمانة الله سبحانه، وأعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة، لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم. فخرج عثمان بن طلحة إلى هجرته مع النبي ﷺ وأقام ابن عمه شيبه بن عثمان بن ابى طلحة، فلم يزل يحجب هو وولده وولد أخيه، وهب بن عثمان حتى قدم عثمان ابن طلحة بن ابى طلحة، وولده مسافع بن طلحة بن ابى طلحة من المدينة، وكانوا بها دهرا، فلما قدموا حجبوا مع بني عمهم، فولد ابي طلحة جميعا يحجبون.[١٢١]

ويظهر مما سبق أن الحجابة كانت لبنى عبد الدار في الجاهلية وهي من الوظائف التي أقرها لهم الرسول ﷺ لا يجوز لأحد أن ينزعها منهم، ولا أن يشرك معهم غيرهم.[١٢٢] لذلك استمر نسل هذه الأسرة يتوارثونها كابراً عن كابر.

وسـدنـة الكعبـة يسمون أحيانا الحجبة أو بنو شيبة نسبة لشيبة بن عثمان الذي تولى هذه الوظيفة زمن النبي ﷺ وكبـيرهم هو الذي يتـولى سدانة أو حجابة الكعبة المشرفة.

والعـادة عنـدهم أن يتولى هذه الوظيفة أكبرهم سنا،[١٢٣] لذلك لا يحدث بين أفراد هذه الأسرة نزاع وتنـافس على الوظيفـة، بل هم يعـرفون أكبرهم ولا يتقـدمون عليه ولا ينافسونه على الوظيفة. ولم تشر المصـادر التـاريخيـة التي رجعت إليها الى حدوث تنافس بين أفراد هذه الأسرة على تولى الوظيفة، رغم أنهـا من أكثـر الوظائف الدينية في المسجد الحرام شرفا وصاحبها له مكانة مرموقة، وبالعكس من ذلك نجد أن هناك تنافس كبير بين علماء مكة على كافة الوظائف الدينية الأخرى. ويبدو أن سبب ذلك يعود الى أنهم قد ورثوا نظاما يسيرون عليه ولا يحيدون عنه.

وبالرغم من أن هذه الأسرة، قد وضعت لها نظاما تسير عليه في تعيين السادن تلو السادن، إلا أن هذا لا يمنع أن نقول أن تعيين السادن لابد أن يصدر به قرار سلطاني،[١٢٤] وذلك لإقرار ما اتفقت عليه الأسرة من اختيـار السادن الجديد، والذي في العادة أكبر الأسرة سنا، لذلك لا تتوارث هذه الوظيفة، أي بمعنى آخر لا يخلف الابن أباه في الوظيفة، كما هي الحال في أكثـر الوظائف الدينيـة الأخـرى، بل الذي يخلف السادن هو أكبر العائلة الباقين سنا.

(١٢٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣ ص ص١٣٧، ١٨٤، ٢٦١، ٢٦٥ ـ ٢٦٦؛ الفاسي، **العقد**، جـ٦،ص ص٩٨ ـ ٩٩؛ المقريزي، جـ١، مجـ٣، ص ص٩٤٠ ـ ٩٤١، جـ٢، مجـ٣، ص٩٠٤، جـ٤، مجـ١، ص١٠.

(١٢١) **الأزرقي**، محمد بن عبد الله بن أحمد، **اخبار مكة وما جاء فيها من الأخبار**، تحقيق رشدى الصالح ملحس، جزءين (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٣٨٥هـ)، جـ١، ص٥٨، ١١١؛ الطبري أحمد عبد الله بن محمد، **القرى لقاصد ام القرى**، تحقيق مصطفى السقا (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٣٩٠هـ)، ص ص٥٠٣ ـ ٥٠٦.

(١٢٢) الطبرى، ص٥٠٦.

(١٢٣) السخاوى، ، **الضوء**، جـ١١، ص١١؛ ابن فهد ، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٢٣، ٣٥٠.

(١٢٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٠، ٦١٠.

وأحيانا يتدخل شريف مكة، فيعين أحد أفراد الأسرة سادنا في حالة غيبة السادن الرسمي خارج مكة.(١٢٥) ولكن هذا التعيين يصبح ملغيا بورود أمر السلطان بتثبيت أحدهما.(١٢٦) أما إذا توفي السادن وعين السلطان سادنا مكانه، وكان السادن الجديد خارج مكة، فإن السلطان عادة يعين نائب عنه من الأسرة نفسها حتى يحضر السادن المعين إلى مكة.(١٢٧) كذلك الحال إذا توفى السادن وعين السلطان سادناً كان خارج مكة فإن أحد أفراد أسرته يقوم بالعمل حتى يحضر.(١٢٨) أما إذا عجز السادن عن القيام بواجبات الوظيفة، فيعين نائبا له من الاسرة نفسها.(١٢٩) وفي حالة غياب السادن خارج مكة، فإن العادة أن يولي السادن ابنه مكانه لحين عودته،(١٣٠) أو أحد أفراد أسرته.(١٣١)

ومن الأمور الملاحظة لوظيفة السدانة، أن السادن لا يتولى وظيفته مدة طويلة، ذلك أن الذي يتولاها عادة يكون أكبر العائلة، لذلك أغلبهم يتولاها وهو طاعن في السن فلا يستمر في الوظيفة عادة إلا أشهر.(١٣٢)

كما أن تعيين السادن يكون بقرار من السلطان، كذلك عزله لا يتم إلا بقرار سلطاني، ويبدو أن أسباب عزل السلطان للسادن، عادة تكون بسبب ارتكابه لأمور تسيء لوظيفته، ولوضعه، أو لأمور خاصة تعود للعلاقة بين السلطان والسادن.(١٣٣)

وأهم واجبات السادن هي فتح باب الكعبة، في مواعيد فتحها، بمعنى أن مفتاح الكعبة عنده، لا يفتح بابها إلا هو، أو من ينيبه.(١٣٤)

كما أن عليه الإشراف على كافة الأعمال التي تتم داخل الكعبة وخارجها من إصلاحات، وترميمات للكعبة.(١٣٥) وعليه أيضا تفقد بناء الكعبة وملاحظته، والإخبار عن ما تحتاجه من إصلاحات،(١٣٦) كذلك عليه المحافظة على الهدايا التي ترد للكعبة، وتحفظ بداخلها.(١٣٧) بالإضافة إلى ذلك تولى غسل الكعبة مع غيرهم من أعيان مكة، وذلك في حفل كبير يليق بمثل هذه المناسبة.(١٣٨) كذلك عليه خياطة ستارة الكعبة إذا مزقتها الريح،(١٣٩) وتولي وضع الكسوة الجديدة وخلع الكسوة القديمة.(١٤٠)

بالإضافة إلى تولى بعض السدنة لسدانة الكعبة المشرفة، نجد أن بعضهم قد تولى بالإضافة إلى ذلك:

- القضاء.(١٤١)
- نظر الحرم.(١٤٢)
- الآذان.(١٤٣)
- مشيخة الرباط.(١٤٤)

ويبدو أن بعض السدنة كان يأخذ أجرة على كل داخل إلى الكعبة في يوم فتحها، لذلك افتى بعض العلماء بعدم جواز أخذهم لذلك، وأجازوا أخذهم المال إذا كان من باب البر والصلة، وكذلك أجازوا

---

(١٢٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٠؛ الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٤٣٤.
(١٢٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٠؛ الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٤٣٤.
(١٢٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٠.
(١٢٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٦١٠.
(١٢٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٣٩؛ الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٤٣٤.
(١٣٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣٥٩؛ الفاسي، **العقد**، جـ٦، ص٢٢٧.
(١٣١) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٢٥٣؛ ابن فهد، **الدر**، ص٦٧/ب.
(١٣٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص ص٤٢٢، ٤٢٥.
(١٣٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣٥٩، ٣٧١.
(١٣٤) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٤٢٠.
(١٣٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢١٢، ٢١٥، ٢٧٠؛ النهروالي المكي الحنفي، قطب الدين، **كتاب الإعلام باعلام بيت الله الحرام**، تحقيق فرديناند فستنفلد، (غنتقة بالمانيا، ١٢٧٤هـ)، ص٢٠٧.
(١٣٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٩٧.
(١٣٧) المقريزى، جـ٢، مجـ٢، ص٣٦٣.
(١٣٨) النهروالي، ص٢٢٦.
(١٣٩) ابن جبير، ص١٤٤.
(١٤٠) ابن جبير، ص١٥٨.
(١٤١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٦٣٩؛ ابن فهد، **الدر**، ص١/٣٧؛ السخاوى، **الضوء**، جـ٩، ص١٣.
(١٤٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٦٣٩؛ ابن فهد، **الدر**، ص١/٣٧؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٩، ص١٣؛ الفاسي، **العقد**، جـ٣، ص٣٨.
(١٤٣) ابن فهد، **الدر**، ص٤٧/ب.
(١٤٤) ابن فهد، **الدر**، ص١٥٧/ب.

أخذهم مرتباً من بيت المال مقابل خدمتهم وقيامهم بمصالح الكعبة.(١٤٥)

ويبدو كذلك أن بعض السدنة يقسم ستارة الكعبة القديمة، عندما تستبدل بستارة جديدة، ويقوم ببيعها على الحجاج،(١٤٦) كذلك أيضا افتى بعض العلماء بعدم جواز عملهم هذا.(١٤٧) كما أن أشراف مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة وجانبا كبيرا من كسوتها أو ستة آلاف درهم كاملة عوضا عن ذلك، ثم صاروا بعد ذلك يأخذون منهم ستارة باب الكعبة وكسوة مقام إبراهيم ويهدونها لمن يرجونه من أمراء وحكام من بعض البلاد الإسلامية وغيرهم.(١٤٨)

أما إذا استبدل باب الكعبة بباب جديد، فان للسدنة الحق في أخذ الحلية المصفحة على الباب القديم ويتقاسموها بينهم.(١٤٩)

ولسدانة الكعبة مكانة كبيرة عند أهل مكة، وللسادن وأسرته منزلة مرموقة في المجتمع المكي، ويدل على ذلك أن السادن عند فتح الكعبة يدخل وحده فيها ثم يغلق الباب دونه، ويصلي ركعتين، ثم يدخل الحاضرون من اسرته وحدهم، ويغلق الباب من دونهم، ويفعلون مثل ما فعل، ثم بعد ذلك يسمح للناس بالدخول.(١٥٠)

وللسدانة أيضا مكانة كبيرة عند سلاطين وأمراء البلاد الإسلامية الأخرى، فعندما يرسل أحد هؤلاء هدايا لأهل مكة، يكون عادة للسدنة هدية من ضمنها.(١٥١)

أما فتح الكعبة لدخول الناس، فهو يختلف من عصر إلى عصر، ففي الجاهلية كانت تفتح في كل يوم اثنين وخميس، وذكر أنها كانت تفتح يوم الجمعة،(١٥٢) وذكر ابن جبير الذي حج في سنة ٥٧٩هـ، أنها تفتح كل يوم اثنين وجمعة.(١٥٣) إلا أن ابن بطوطة والفاسي ذكرا أن الكعبة تفتح في يوم الجمعة فقط.(١٥٤) ولكن بعد زمنهما أعيد فتح الكعبة يوم الأثنين بالإضافة إلى يوم الجمعة.(١٥٥)

وتفتح الكعبة أيضا في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام، وهو اليوم الذي اشتهر انه يوم مولد النبي ﷺ.(١٥٦)

وذكر ابن جبير أن الكعبة تفتح كل يوم في شهر رجب، ويخصص يوم التاسع والعشرين منه للنساء فقط لا يشاركهن فيه الرجال.(١٥٧) إلا أنه أوقف فتح الكعبة كل يوم بعد ذلك. وأبقى على فتحه يوم التاسع والعشرين للنساء ولكن يدخل معهن الرجال أيضا.(١٥٨)

وتفتح الكعبة أيضا يوم عيد الفطر بعد صلاة العيد،(١٥٩) وفي يوم السادس والعشرين من ذي القعدة، ويخصص هذا اليوم للأعيان لأجل غسلها،(١٦٠) إلا أن ابن جبير وابن بطوطة ذكرا أن الفتح يكون يوم السابع والعشرين من ذي القعدة، وترفع أثواب الكعبة في هذا اليوم إلى قدر القامة والنصف من جهاتها الأربع، ويسمى ذلك «إحرام الكعبة».(١٦١)

ثم تفتح الكعبة في بعض ليالي الثمان الأول من ذي الحجة من كل سنة، لأجل البر الذي تأخذه الحجبة ممن يرغب دخولها،(١٦٢) وتفتح الكعبة أيضا

(١٤٥) الطبرى، ص٥٠٦؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢١٠.

(١٤٦) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(١٤٧) الطبرى، ص٥٢١.

(١٤٨) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢٠٥.

(١٤٩) المقريزي، جـ٢، مجـ٣، ص٣٦٣.

(١٥٠) ابن جبير، ص٧٠؛ ابن بطوطة، ص١٢٨.

(١٥١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٨١.

(١٥٢) الأزرقي، الجزء الأول، ص١٧٤؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢٠٩.

(١٥٣) ابن جبير، ص٧٠.

(١٥٤) ابن بطوطة، ص١٢٨؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٢١٠.

(١٥٥) ابن ظهيرة، ص٧٥.

(١٥٦) ابن بطوطة، ص١٢٨؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢٠٩.

(١٥٧) ابن جبير، ص ص١١٣، ١١٥ ـ ١١٦.

(١٥٨) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢٠٩.

(١٥٩) ابن جبير، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٥؛ ابن بطوطة، ص١٦٣؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢٠١.

(١٦٠) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢١٠.

(١٦١) ابن جبير، ص١٤٣؛ ابن بطوطة، ص ١٦٤.

(١٦٢) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢١٠.

في أيـام عيـد الأضحى للحجاج الذين يصلون مع الركب العراقي،(١٦٣) ثم تفتح الكعبة مرة أخرى في أول جمعة من محرم.(١٦٤) وتفتح الكعبة عندما يزور مكة أحد كبار رجال الدولة ويريد دخول الكعبة(١٦٥) فيدخلها هو والسادن وحدهما ثم تدخل حاشيته بعده إذا خرج.

أما كسوة الكعبة فإنها تسلم للحجبة في يوم عيد الأضحى، ثم توضـع على سطح الكعبة، وفي اليوم الثالث عشر من شهر ذي الحجة، تسبل الكسوة على الكعبة،(١٦٦) إلا أن ذلك العمل أصبح يعمل في يوم عيد الأضحى، وفي بعض السنوات عمل يوم الثالث من ذي الحجة، وفي بعضها في يوم الرابع منه.(١٦٧)

أمـا غسل الكعبة، فقد ورد أن النبي ﷺ دخل الكعبة في يوم الفتح فرأى فيها صورا لإبراهيم ـ عليه السـلام ـ ولعيسى وأمه ـ عليهما السلام ـ وصورة الملائكة، دعـا بماء زمزم ثم أمر بثوب وأمر بطمس تلك الصـور فطمست، ثم أن المسلمين بعد ذلك غسلوا الكعبة من ظهرها وباطنها، فلم يتركوا أثرا من آثار المشركين إلا محوه وغسلوه.(١٦٨)

ثم صار غسل الكعبة عادة جارية وسنة متبعة من عهـد الرسـول ﷺ. وتغسل الكعبة بماء زمزم من الداخـل قدر قامـة ومن خارجها قدر قامة، يقوم به السادن واسرته وأعيان مكة وذلك في حفل بهيج.(١٦٩)

وقد كان يوم غسل الكعبة في زمن ابن جبير في اليوم الذي يلي اليـوم الذي يخصص لدخـول النسـاء للكعبة،(١٧٠) إلا أن الفاسي ذكر أن يوم الغسل كان في يوم السادس والعشرين من ذي القعدة،(١٧١) وتغسل الكعبة أيضا في غير هذه الأيام خاصة إذا ورد أمر السلطان بفعل ذلك فتغسل الكعبة وتطيب.(١٧٢)

ولـما كان باب الكعبـة مرتفعا عن الأرض حوالى المترين تقريبا، فإن الدخول إليها يحتاج الى سلم، وقد عمـل لذلك كرسي كبـير يشبـه المنبـر له تسع درج مستطيلة، وله قوائم من الخشب لها أربع بكرات كبار مصفحـة بالحديد لمباشرتها الأرض، يجري الكرسي عليهـا حتى يصـل الى الكعبـة المشرفة فيقع درجه الأعلى متصلا بعتبة باب الكعبة.(١٧٣)

ولهذا الكرسي مجموعة من الموظفين، وظيفتهم دفع الكرسي من موضعه في المسجد الحرام إلى باب الكعبة حين فتحها، ثم إعادته إلى موضعه بعد غلق بالباب، وهؤلاء الموظفون يسمون «خدام درجة الكعبة».(١٧٤)

المـــؤذن

هو من يقوم بإعلام الناس بدخول وقت الصلاة والآذان وهي وظيفـة قديمـة شرعها الرسول ﷺ في السنـة الأولى من هجرته الى المدينة، وقد وردت في تفضيـل المؤذنين أحاديث كثيرة ذكرتها بعض كتب الفقه والحديث. ونظراً للفضل والأجر الكبيرين اللذين وعد بهما النبي ﷺ للمؤذن، فقد اشترط الفقهاء عدة شروط، لابد أن تتوافر في من تولى وظيفة الآذان، ومن هذه الشروط:

١ ـــ أن مسلما.
٢ ـــ أن يكون عاقلا.
٣ ـــ أن يكون ذكرا.

ويفضل أن يكون أيضا:

١ ـــ بالغا.
٢ ـــ عدلا.
٣ ـــ عالماًبأوقات الصلاة.
٤ ـــ حسن الصوت مرتفعه.

ويسن عند الآذان:

١ ـــ أن يكون متطهراًمن الحدثين.

---

(١٦٣) ابن جبير، ص ١٥٨، ابن بطوطة، ص١٦٧.
(١٦٤) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٢١٠.
(١٦٥) ابن جبير، ص ص١٢٥ ـ ١٢٦.
(١٦٦) ابن جبير، ص ص١٥٧ ـ ١٥٨؛ ابن بطوطة، ١٦٧.
(١٦٧) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٢٠٤.
(١٦٨) **الأزرقي**، جـ١ ،ص ص١٦٥ ـ ١٦٦؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٢١٢.

(١٦٩) النهروالي، ص٢٢٦.
(١٧٠) ابن جبير، ص ١١٦.
(١٧١) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٢١٠.
(١٧٢) النهروالي، ص ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
(١٧٣) ابن جبير، ٧٠؛ ابن بطوطة، ص١٢٨.
(١٧٤) ابن فهد، **الدر**، ص٤/ب؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٥، ص١٦٧.

٢ — أن يؤذن بمكان مرتفع.

٣ — أن يكون قائما.

٤ — أن يكون مستقبل القبلة.

٥ — أن يلتفت جهة اليمين مرة وجهة اليسار مرة أخرى بوجهه وعنقه دون صدره وقدميه.(١٧٥)

وقد رفع الآذان لأول مرة في المسجد الحرام في يوم فتح مكة، عندما أمر الرسول ﷺ بلالا ـ رضي الله عنه ـ أن يصعد ويؤذن على ظهر الكعبة،(١٧٦) ثم بعد ذلك بنيت أربع منائر على زوايا المسجد الحرام، واحدة في عهد الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور في الركن الشمالي الغربي سنة ١٤٠هـ،(١٧٧) والثلاث الأخر بنيت في عهد ابنه الخليفة المهدي،(١٧٨) ومن هذه المنائر أصبح الآذان يرفع في المسجد الحرام، وكان رئيس المؤذنين يبدأ الآذان من المنارة التي بناها ابو جعفر المنصور والمسماة منارة باب العمرة وذلك زمن الأزرقي.(١٧٩)

ثم زادت المنائر حتى أصبحت في عهد ابن جبير سبع منائر، ذكر الأربع، ثم ذكر أن الثلاث الزائدة، الأولى كانت في زيادة دار الندوة، وأخرى على باب الصفا لا يصعد عليها لضيقها، وثالثة على باب ابراهيم(١٨٠) أما ابن بطوطة فقد ذكر أن عدد منائر المسجد الحرام خمس، حيث ذكر الأربع التي في الأركان، والخامسة التي في زيادة دار الندوة.(١٨١) وقد بني بعد ذلك السلطان قايتباى منارة سادسة على مدرسته التي تشرف على المسعى سنة ٨٨٢هـ.(١٨٢)

وقد ذكر ابن جبير وابن بطوطه أن رئيس المؤذنين يؤذن على سطح قبة بئر زمزم،(١٨٣) إلا أنه في زمن الفاسي كان رئيس المؤذنين يؤذن من منارة بني شيبة،(١٨٤) ثم عاد الرئيس للآذان على قبة زمزم.(١٨٥)

ولكل منارة من منائر المسجد الحرام مؤذن يؤذن عليها،(١٨٦) كما أن لهؤلاء المؤذنين رئيس،(١٨٧) وأغلب المؤذنين من أسرة الكازروني(١٨٨) ولهم رئاسة المؤذنين بالمسجد الحرام.(١٨٩)

ومهمة رئيس المؤذنين تنحصر في البدء بالآذان قبل غيره،(١٩٠) لذلك لابد له من معرفة وقت دخول الصلوات،(١٩١) ومن أجل معرفة الوقت بدقة في أثناء النهار، وضعت مزولة في صحن المسجد الحرام في الجهة الشمالية الشرقية منه، وهي من عمل الوزير الجواد،(١٩٢) ثم عملت مزولة أخرى، فوق بيت زمزم، وبجانبها أيضا خزانة لطيفة فيها مناكيب زجاج لمعرفة أوقات الصلاة.(١٩٣) ونظرا لاعتماد هذه الأجهزة على الشمس فإنه غالبا ما يحصل خلط في معرفة الوقت إذا كانت السماء غائمة، فقد حدث مرة أن أذن المؤذن للمغرب في رمضان في يوم غائم قبل الوقت، فأفطر الناس، ثم انكشفت السحاب وظهرت الشمس وحصلت بلبلة.(١٩٤)

أما يوم الجمعة، فإن رئيس المؤذنين يسير أمام الخطيب عند دخوله إلى المسجد الحرام، لابسا السواد، وعل عاتقه السيف ممسكا به بيده، ثم يقلد

(١٧٥) الجزيرى، جـ١، ص ص ٣١٠ ـ ٣١٧.

(١٧٦) الأزرقي، جـ١، ص٢٧٤.

(١٧٧) الأزرقي، جـ٢، ص٧٢.

(١٧٨) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٨٦.

(١٧٩) الأزرقي، جـ٢، ص٩٧.

(١٨٠) ابن جبير، ص٦٨.

(١٨١) ابن بطوطة، ص١٣٤.

(١٨٢) النهروالي، ص٢٢٥.

(١٨٣) ابن جبير، ص٧٤، ٧٧: ابن بطوطة، ١٥٦.

(١٨٤) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٨٦.

(١٨٥) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٥، النهروالي، ص٤٢٥.

(١٨٦) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٥، جـ٣، ص٤٣، جـ٤، ص١٩٤، ٤٩٢، جـ٥، ص٤٠٧؛ السخاوي، **الضوء**، جـ١٠، ص١٩٦.

(١٨٧) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٥.

(١٨٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٥٩، ٣١٧، ٣٢٦، ٤٠٧؛ وكازرون: مدينة بفارس بين الخليج العربي وشيراز.

(١٨٩) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٥، ٦٩؛ ابن فهد، **الدر**، ص٤٧/ب؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٤، ص٢٣٤.

(١٩٠) الأزرقي، جـ٢، ص ٩٧؛ ابن جبير، ص٧٤؛ ابن بطوطة، ص١٥٦؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٨٦، النهروالي، ص٤٢٥.

(١٩١) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٥؛ السخاوى، **الضوء** جـ٣، ص٢٦٤.

(١٩٢) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٨٩.

(١٩٣) ابن ظهيرة، ص ١٣٤.

(١٩٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٧٢.

الخطيب السيف، فيصعد الخطيب المنبر، فيسلم ثم يبدأ رئيس المؤذنين الآذان فيتبعه المؤذنون في حين واحد.(١٩٥) أما في صلاة عيد الفطر فإن الرئيس يدعو من فوق سطح زمزم.(١٩٦)

كما أنه في ليلة أول كل شهر ، على رئيس المؤذنين أن يدعو من فوق سطح زمزم للشريف عندما يطوف بالكعبة ويهنئه بدخول الشهر(١٩٧)، وفي الخامس عشر من رجب عندما يعتمر معظم أهل مكة وعلى رأسهم الشريف، فيدعو الرئيس للشريف عند طوافه كما هي العادة.(١٩٨) كما أنه يدعو للشريف ويهنئه بنفس الطريقة إذا تولى أمر مكة أو قدم لمكة. وذلك بينما الشريف يطوف حول الكعبة.(١٩٩)

كما أن على رئيس المؤذنين أن يدعو للسلطان عندما يتولى،(٢٠٠) بعد قراءة نبأ توليته، ويكون دعاء الرئيس من فوق سطح زمزم. ويدعو رئيس المؤذنين للخليفة العباسي بمصر كل ليلة من على سطح زمزم بالإضافة إلى دعائه للسلطان وصاحب اليمن وشريف مكة.(٢٠١)

كذلك على الرئيس النداء من فوق سطح زمزم للصلاة على جنازة أحد أعيان مكة.(٢٠٢) كذلك على رئيس المؤذنين الإقامة للصلاة من مكانه،(٢٠٣) كما أن عليه الدعاء للسلطان والشريف وللقاضي الشافعي وغيره من الأعيان عند دخول القاضي الشافعي إلى المسجد الحرام في ليلة الاحتفال بالمولد النبوي(٢٠٤)، كذلك عليه التهليل عقب الصلوات الخمس.(٢٠٥)

أما بقية المؤذنين، فكل واحد عليه الآذان من منارته، بالإضافة الى ذلك الدعوة لصلاة الاستسقاء والكسوف،(٢٠٦) كما أن عليهم التسبيح آخر الليل من مناراتهم،(٢٠٧) كذلك عليهم ذكر بعض المدائح النبوية كل ليلة بعد آذان العشاء،(٢٠٨) كذلك على المؤذنين إيقاظ الناس لتناول طعام السحور في رمضان من منائرهم.(٢٠٩)

ولما كان الآذان من على منائر المسجد الحرام لا يسمعه كل سكان مكة، لذلك جعل هناك مؤذنون على رؤوس بعض جبال مكة، يؤذنون من على منارات بنيت عليها، وذلك في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، ثم ترك ذلك، وبقي في هذه المنارات مؤذنون يسحرون فقط في رمضان في زمن الفاسي.(٢١٠)

وهناك طريقة يعملها المؤذنون وهم في منائرهم عند التسحير في ليالي رمضان، وذلك بإيقاد قنديلين من الزجاج ونصبهما على خشبة، فإذا حان وقت الآذان بالقطع أطفىء القنديلان ثم أذنوا، والناس حول المسجد الحرام يراقبون هذه القناديل، فإذا أطفئت أمسكوا عن الطعام.(٢١١)

أما في ليلة عيد الفطر، فإن المؤذنين يقضون تلك الليلة في منائرهم مهللين ومكبرين ومسبحين.(٢١٢)

وهناك أيضا في المسجد الحرام وظيفة مؤقت أو الميقاتي، وهذه الوظيفة يتولاها مؤذن من مؤذني المسجد الحرام، وأحيانا يتولاها شخص آخر غير

---

(١٩٥) ابن جبير، ص ٧٣؛ ابن بطوطة، ص ٥٧٢.
(١٩٦) ابن بطوطة، ص ١٦٣.
(١٩٧) ابن جبير، ص ص ٧٤ ـ ٧٥؛ ابن بطوطة، ص ١٥٦.
(١٩٨) ابن جبير، ص١١٤؛ ابن بطوطة، ص١٥٨.
(١٩٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ٢٩١، ٥٢٦، ٥٨٠.
(٢٠٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص ص٥٧٧ ـ ٥٧٩.
(٢٠١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٩٦؛ المقريزى، جـ٤، مجـ١، ص ص٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٢٠٢) ابن فهد، **الدر**، ص٦١/أ؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٢، ص ١٣٥، ١٩٢؛ السخاوي، **التبر**، ص ٢٩١.
(٢٠٣) الفاسي، **العقد**، جـ٦، ٢٠٤.
(٢٠٤) ابن ظهيرة، ص ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.
(٢٠٥) ابن فهد، **الدر**، ص٩٩/أ؛ السخاوي، **التبر**، ص٣٨٨.
(٢٠٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٠٠.
(٢٠٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٦٤؛ الفاسي، **العقد**، جـ٥، ص٢١٣؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٥، ص ٣٤، جـ١١، ص١٠٦.
(٢٠٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٥٢٧ ـ ٦٢٢؛ ابن العماد، جـ٧، ص١٦٠.
(٢٠٩) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٨٧؛ النهروالي، ص٤٢٥؛ ابن بطوطة، ص١٦٢.
(٢١٠) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٣٨٧ ـ ٣٨٨.
(٢١١) ابن جبير، ص١٢٣؛ ابن بطوطة، ص١٦٢.
(٢١٢) ابن جبير، ص١٣٤؛ ابن بطوطة، ص١٦٣.

المؤذنين، بمعنى أن وظيفة الميقات وظيفة مستقلة لا يتولاها إلا شخص عارف بالمواقيت والفلك وعلم الهيئة، فإذا توافرت هذه المعرفة لأحد من المؤذنين تولاها، وإلا تولاها شخص آخر. ولاشك أن الميقاتي يستعين بالأجهزة الفلكية المتوافرة عنده مثل المزولة.(٢١٣)

كما أنه في بعض الفترات ينصب مؤذن زيدي في المسجد الحرام، وذلك بتحريض من أشراف مكة، إلا أنه يمنع بعد فترة قصيرة من بدئه.(٢١٤)

كذلك هناك مؤذنون لبعض المدارس الملاصقة للمسجد الحرام مثل مدرسة السلطان قايتباي ومدرسة سلطان اليمن.(٢١٥)

ولما كان صوت الإمام لا يسمعهُ جميع المأمومين، لذلك يحتاج كل إمام من أئمة المقامات الأربعة لمبلغ تسمى وظيفته مكبر. وقد يحتاج إلى أكثر من مكبر في كل مقام حسب كثرة المأمومين فيها،(٢١٦) وقد يصلون إلى ستة مكبرين في بعض المقامات.(٢١٧) كما أنه أحيانا يقوم بهذه الوظيفة أحد المؤذنين.(٢١٨) بالإضافة إلى ذلك قد يشترك اثنان في وظيفة التكبير بحيث إنهما يتقاسمان أجر الوظيفة.(٢١٩) وقد تكون للمكبر وظيفة أخرى بالإضافة إلى وظيفة التكبير مثل نيابة إمامة أحد المقامات الأربعة في المسجد الحرام،(٢٢٠) أو الفراشة.(٢٢١) ومن مهام المكبرين أيضا قراءة آية الكرسي ثم سورة الإخلاص عقب كل صلاة عند زمزم.(٢٢٢)

وهذه الوظائف بما فيها وظيفة المؤذن تتوارث، بمعنى أنه يخلف المؤذن أو غيره من أصحاب هذه الوظائف ابنه أو قريبه، ولا تطبق فيها الشروط التي وضعها الفقهاء للمؤذن.(٢٢٣) كما أنه قد يشترك أثنان في وظيفة الآذان بإحدى المآذن بالمسجد الحرام، بحيث أنهما متناوبان الآذان ويتقاسمان الأجرة.(٢٢٤) بالإضافة إلى أنه يحق لرئيس المؤذنين أن يجعل له نائبا.(٢٢٥)

ومن الغريب أن ليس هناك جهة معينة أو سلطة مباشرة تشرف على عمل المؤذنين في المسجد الحرام، بل كل إنسان له سلطة أو نفوذ يستطيع أن يأمر المؤذنين بعمل ما يريده، ويفعل المؤذن ما يريده الطالب بدون الرجوع إلى أي جهة مختصة بذلك.(٢٢٦) بل تصل الأمور أحيانا إلى أن يرشي أحدهم رئيس المؤذنين ليفعل ما يريد، فيفعل الرئيس ولا يستطيع أحد أن يمنعه.(٢٢٧)

أما راتب المؤذن فهو خمسون دينارا في السنة، وقد يصل أحيانا الى مائة دينار في السنة.(٢٢٨) أما رواتب المؤذنين في مدرسة السلطان قايتباى فتصرف لهم بالإضافة إلى اجرتهم من الذهب ما يكفيهم من القمح والزيت.(٢٢٩)

وبالإضافة إلى تولى المؤذن وظيفة الآذان، نجد أن

---

(٢١٣) ابن حجر، جـ٣، ص٢٩٠، جـ٤، ص٩٧؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٧، ص٢٣٨؛ ابن فهد ، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٣٢.

(٢١٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص١٣٧، ١٨٤، ٢٦٢، ٢٦٥؛ المقريزي، جـ١، مجـ٣، ص ص ٩٤٠ ـ ٩٤١.

(٢١٥) النهروالي، ص ٢٢٦، ٢٣٥؛ ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٦٥٨؛ الفاسي، **العقد**، جـ٥، ص١٠؛ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، **غاية الأماني في اخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمدمصطفى زيادة، جزءين (القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ)، جـ١، ص٤٣٣.

(٢١٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣٨٧؛ الفاسي، **العقد**، جـ٧، ص١٧٤؛ ابن فهد، **الدر**، ص٣٦/أ؛ السخاوي **الضوء**، جـ١١، ص١٦٣، ٢٦٥.

(٢١٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٦٤٢.

(٢١٨) السخاوي، **الضوء**، جـ٣، ص٣١٩.

(٢١٩) ابن فهد، **الدر**، ص٢٣/ب.

(٢٢٠) ابن فهد، **الدر**، ص٢٣/ب.

(٢٢١) ابن فهد، **الدر**، ص٣٦/أ.

(٢٢٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٦٩.

(٢٢٣) الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٢٩٨، جـ٣، ص٨١، جـ٥، ص٤٠٧؛ ابن فهد، **الدر**، ص٨٦/أ.

(٢٢٤) ابن فهد، **الدر** ، ص١٥/ب.

(٢٢٥) ابن فهد، **الدر** ، ص١٣٥/أ.

(٢٢٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٥٠، ٥٦٩، ٥٨٠، ٦٢٢.

(٢٢٧) السخاوى، **التبر** ، ص٣٥٤، ٣٨٨.

(٢٢٨) ابن فهد، **الدر**، ص٦٨/أ، ٨٦/أ؛ السخاوى، **الضوء**، جـ٣، ص١٢٥.

(٢٢٩) النهروالي، ص٢٢٦، ٢٣٥.

بعض المؤذنين يتولون وظائف أخرى بجانب وظيفة الآذان، ومن هذه الوظائف:

- سدانة الكعبة أو حجابتها.(٢٣٠)
- نائب المحتسب.(٢٣١)
- رئاسة أمر زمزم وسقاية العباس.(٢٣٢)

وللمؤذنين مكانة محترمة في المجتمع المكي، ولأجل ذلك كانت ترسل لهم الهدايا من بعض ملوك وسلاطين الدول الإسلامية كل سنة،(٢٣٣) كما أن السلطان قد يزيد في راتب أحدهم حتى يصل إلى ضعف ما جرت به العادة.(٢٣٤)

شيخ الحرم أو ناظره

هذه الوظيفة، وظيفة إدارية بحتة، مهمتها الرئيسة الإشراف الكامل على ما يحدث داخل المسجد الحرام من بناء أو تعمير أو ترميم أو إصلاحات. بالإضافة إلى الإشراف على عمل جميع العاملين بالمسجد الحرام، ولا يحتاج من يتولاها إلى كفاءة علمية مثل غيرها من الوظائف الدينية.

وتعيين شيخ الحرم أو ناظره، كان يتم عن طريق الخليفة العباسي ببغداد،(٢٣٥) وعندما أعيدت الخلافة العباسية بمصر، عين الخليفة العباسي الأول بمصر سنة ٦٥٩هـ اثنين في المنصب، وفوض إليهما أموراً كثيرة تخص الخلافة العباسية، ومن هذه الأمور:

- النظر في مصالح المسجد الحرام.
- النظر في الأوقاف بمكة.
- النظر في الأربطة بمكة.
- إظهار شعار الخلافة بمكة وغيرها.
- النظر في المدارس.
- إقامة الخطبة للخليفة.
- ضرب السكة باسمه.
- الإشراف على السبل.
- قيادة المحمل والحجيج.
- أن يكاتبا زعماء الحجاز واليمن وسائر البلاد من أجل مبايعة الخليفة وطاعته وعونه.(٢٣٦)

ثم بعد ذلك أصبح قرار التعيين يصدر من السلطان،(٢٣٧) والعادة أن يختار لهذا المنصب أحد كبار علماء مكة وخصوصا قاضي مكة الشافعي،(٢٣٨) إلا أننا نجد أن السلطان بداء من سنة ٨٣٧هـ يعين في هذه الوظيفة أشخاصاً ليسوا من ذوى الكفاءة العلمية مثل سابقيهم، وليسوا من أهل مكة، بل يرسلهم السلطان من مصر، وغالبا ما يكونون من الأمراء المماليك.(٢٣٩) كما أننا نجد نتيجة لعدم اهتمام السلطان بتحرى الدقة في من يتولى هذا المنصب، نجد انه عين مرة شخصا يصفه المقريزي بأنه «مضحك السلطان».(٢٤٠) كما أننا نجد أحيانا نتيجة للتنافس على المنصب، فإن السلطان يعين من يدفع له رشوة،(٢٤١) وأحيانا يشرك اثنين في الوظيفة.(٢٤٢) أما إذا اراد السلطان أن يزيد في إكرام المتولى لهذا المنصب، فإنه عادة يوليه على مشيخة الحرمين.(٢٤٣)

أما قرار السلطان بتعيين الناظر فيقرأ في المسجد الحرام،(٢٤٤) ويحضره جمع من أعيان مكة. وتصل مع القرار خلعة المنصب المهداة من السلطان لصاحب

(٢٣٠) ابن فهد، **الدر**، ص٤٧/ب.
(٢٣١) الفاسي، **العقد**، جـ٥، ص٢١٢.
(٢٣٢) ابن العماد، جـ٦، ص٢٥٥.
(٢٣٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٩١.
(٢٣٤) ابن فهد، **الدر**، ص ص١/٦٨، ١/٨٦؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٣، ص١٢٥.
(٢٣٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص١٨.
(٢٣٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص ٨٤ ـ ٨٦.
(٢٣٧) ابن فهد، **اتحاف**، ص٣٤٥، ٤٢٣.
(٢٣٨) المقريزي، جـ٤، مج٢، ص٩٣٠.
(٢٣٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص ص ٤١٥ ـ ٤١٦، ٤٢١، ٤٥٦، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥١٠، ٥٢١.
(٢٤٠) المقريزي، جـ٤، مجـ٢، ص٩٦١.
(٢٤١) المقريزي، جـ٤، مجـ٢، ص٩٣٠؛ ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤١٥.
(٢٤٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٢٧٩، ٥٨٢؛ الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٨٨.
(٢٤٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٩٠، جـ٤، ص٤٣٥، ٤٦٤؛ الفاسي، **العقد**، جـ٦، ص٢٣٧؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٣، ص٢٠٨؛ جـ٤، ص١٣؛ النهروالي ص٢١٦.
(٢٤٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٥٠٩، ٦٣٩، جـ٤، ص٥٠٨؛ المقريزي، جـ٤، مجـ٢، ص٩٣٠.

الوظيفة يلبسها بعد قراءة قرار تعيينه.(٢٤٥) أما إذا كان المتولى للوظيفة قادم من مصر ومعه قراره، فان لبسه للخلعة يكون في القاهرة.(٢٤٦)

ويحق للشريف منع الناظر المعين من قبل السلطان من ممارسة عمله إذا لم يرض أهل مكة على تعيينه، ويحق له أيضا أن يعين ناظرا مؤقتا مكانه، ثم يرسل للسلطان يبين له سبب تصرفه هذا، ويطلب منه عزل الناظر الذي عينه وتعيين ناظر يرضى به أهل مكة.(٢٤٧) كذلك يحق للشريف تعيين ناظر مؤقت للحرم، إذا حدث نزاع بين المشتركين في الوظيفة إذا تولى الوظيفة أكثر من واحد، ومن ثم يرسل للسلطان يخبره بسبب النزاع، ويطلب منه حل المشكلة.(٢٤٨)

وأحيانا يصدر السلطان قرارين بتعيين اثنين بالوظيفة في وقت واحد، ثم يترك اختيار أحدهما لأهل مكة.(٢٤٩) كما أنه أحيانا يفوض السلطان امير الحاج المصري بعزل الناظر وتعيين ناظر بدلا عنه.(٢٥٠)

أما اختصاصات وظيفة ناظر الحرم أو شيخه، فهي كثيرة ومتعددة، تزيد إذا كانت شخصية المتولى قوية وراض عنه السلطان، وتضعف وتقل بضعف شخصية المتولى ونفوذه. وتدور أعمال الوظيفة ضمن اختصاصات إدارية ومعمارية إنشائية داخل المسجد الحرام والمشاعر. ومن أهم اختصاصات الوظيفة مايلي:

- الإشراف على جميع الإصلاحات التي تتم داخل المسجد الحرام.(٢٥١)
- القيام بجميع اعمال العمارة داخل المسجد الحرام.(٢٥٢)
- القيام بإصلاح الطرق بين مكة ومشاعر الحج.(٢٥٣)
- القيام بإصلاح العيون التي يشرب منها أهل مكة.(٢٥٤)
- القيام بعمارة السبل والإنفاق عليها.(٢٥٥)
- القيام بإصلاح البرك بعرفات.(٢٥٦)
- القيام بترميم المساجد التي بمشاعر الحج.(٢٥٧)
- القيام بترميم الأربطة.(٢٥٨)
- الإشراف على المطاهر.(٢٥٩)
- القيام بترميم المدارس.(٢٦٠)

هذه بعض اختصاصات الناظر المعمارية، حيث نجد أنه مسؤول مسؤولية مباشرة عن أي عمارة أو ترميم تتم في داخل المسجد الحرام أو مشاعر الحج، ولابد له من الإشراف على ذلك العمل ومتابعته حتى الانتهاء.

بالإضافة إلى اختصاصات الناظر المعمارية، هناك اختصاصات إدارية يلزم بالقيام بها والإشراف عليها. ومن هذه الاختصاصات الإدارية لوظيفة الناظر:

- الإشراف على عمل جميع العاملين بالمسجد الحرام وإعطائهم التعليمات.(٢٦١)

---

(٢٤٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٣٧، ٤٤٨، ٥٠٩؛ السخاوي **التبر**، ص٧٥.

(٢٤٦) السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠.

(٢٤٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص ص٤١٥، ابن فهد، **الدر**، ص ١/١٠٨.

(٢٤٨) السخاوي، **التبر**، ص٣١؛ السخاوي **الضوء**، جـ٩، ص٢١٤.

(٢٤٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٢٤١ - ٢٤٢

(٢٥٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ٢٣٧.

(٢٥١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٩٨؛ النهروالي، ص٢٠٧.

(٢٥٢) ابن ظهيرة، ص ١٣١؛ السخاوي، **التبر**، ص. ١٥٣؛ النهروالي، ص ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٢٥٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٤٧.

(٢٥٤) ابن فهد، اتحاف، جـ٤، ص٥٠٠؛ النهروالي، ص٢١٨.

(٢٥٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٧٤، ٥٠٩؛ النهروالي، ص٢١٧.

(٢٥٦) السخاوي، **التبر**، ص ٢٦٦؛ ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٠٥.

(٢٥٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص ص٥٠٥؛ النهروالي، ص٢١٨.

(٢٥٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص ص٥١١، النهروالي، ص٢١٩.

(٢٥٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥١٠.

(٢٦٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥١٤.

(٢٦١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٦٤.

ـ إعلان أوامر السلطان، وذلك بكتابتها على رخامة في المسجد الحرام.(٢٦٢)

ـ حل المشكلات التي تحدث داخل المسجد الحرام، وذلك ضمن مجلس قضائي يحضره ومعه القضاة.(٢٦٣)

ـ محاسبة العاملين بالمسجد الحرام على أخطائهم.(٢٦٤)

ـ منع التعدى بالبناء داخل حدود المسجد الحرام.(٢٦٥)

ـ الإشراف على مستودعات زيت المسجد الحرام وشمعه، ولا يصرف شيء منها إلا باذنه، وتكون مفاتيح المستوعات عنده.(٢٦٦)

ـ حضور قراءة مراسيم تعين الشريف وأصحاب الوظائف الدينية بمكة.(٢٦٧)

ـ منع أي سلطان غير السلطان المملوكي من القيام بأي عمل داخل المسجد الحرام.(٢٦٨)

ـ حضور المناسبات والاحتفالات الدينية التي تقام بمكة.(٢٦٩)

ـ تحديد الأماكن التي يجلس بها بعض أصحاب الوظائف الدينية بالمسجد الحرام.(٢٧٠)

ـ الاشتراك مع غيره من أعيان مكة بغسل الكعبة.(٢٧١)

ـ وعند تعيينه يفوضه السلطان ـ أحياناً ـ بمحاسبة الناظر الذي قبله.(٢٧٢)

وبالإضافة إلى تولى الناظر وظيفة نظر المسجد الحرام، نجد أن بعض النظار يتولى بالإضافة اليها وظيفة أو وظائف أخرى تجمع له مع وظيفة النظر، ومن هذه الوظائف:

ـ القضاء بمكة،(٢٧٣) والعادة أن يتولى النظر قاضي مكة الشافعي.(٢٧٤)

ـ الخطابة.(٢٧٥)

ـ الحسبة.(٢٧٦)

ـ سدانة الكعبة.(٢٧٧)

ـ نظر الأوقاف.(٢٧٨)

ـ نظر الأربطة.(٢٧٩)

ـ التدريس.(٢٨٠)

ـ نظر الايتام.(٢٨١)

ـ قضاء جدة(٢٨٢)

ـ شاد العمائر.(٢٨٣)

ـ نظر المطاهر.(٢٨٤)

بل أحيانا تجمع له عدد من هذه الوظائف بالإضافة إلى وظيفة النظر، كالقضاء والخطابة والحسبة والتدريس ونظر الأوقاف والربط.(٢٨٥)

أما إذا مات الناظر، فأحيانا، يعين السلطان ابنه، وإذا كان للناظر وظائف أخرى بالإضافة إلى وظيفة النظر، فإن ابن الناظر يخلفه عادة في جميعها.(٢٨٦) كذلك الحال إذ يعين السلطان ـ أحيانا ـ قريب الناظر كأخيه مثلا في وظيفة النظر الإضافة إلى الوظائف

(٢٦٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥١٠.

(٢٦٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٥٠.

(٢٦٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٧٢.

(٢٦٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٩٧.

(٢٦٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٦٠٣.

(٢٦٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٤٩، ٥٣٤.

(٢٦٨) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٣٠٢.

(٢٦٩) السخاوي، **الضوء**، جـ١٠، ص٥٢.

(٢٧٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٥٤؛ السخاوي، **التبر**، ص١٦.

(٢٧١) النهروالي، ص٢٢٦.

(٢٧٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٥٠٨؛ النهروالي، ص٢١٩.

(٢٧٣) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ٣٤٥، ٤٠٦.

(٢٧٤) **المقريزي**، جـ٤، مجـ٢، ص٩٣٠.

(٢٧٥) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣٤٥، ٤٠٦.

(٢٧٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٩٣، ٥٠٨.

(٢٧٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٦٣٨، ٦٣٩؛ الفاسي، **العقد**، جـ٣، ص٣٨.

(٢٧٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٠٦، جـ٤، ص٥٠٨.

(٢٧٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٠٦،جـ٤، ص٥٠٨.

(٢٨٠) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٣٠١.

(٢٨١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٦٠٣.

(٢٨٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٦٠٣.

(٢٨٣) السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠، ٥٣٩١؛ دحلان، احمد بن زيني، **خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام** (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ)، ص٤٢.

(٢٨٤) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٦٠٩، جـ٤، ض٥١٠.

(٢٨٥) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٣٠١، ٣٧٢.

(٢٨٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٠٦.

الأخرى للناظر المتوفي.[٢٨٧]

وفي بعض الأحيان يعين السلطان شخصا آخر من غير أقارب الناظر المتوفى في وظيفة النظر، ويخلفه أيضا في جميع وظائفه، إذا كان للناظر المتوفي وظائف أخرى.[٢٨٨]

أما عزل الناظر فيكون بقرار سلطاني، وعادة يصدر السلطان قراره بعزل الناظر وفي الوقت نفسه يصدر قرارا آخر بتعيين ناظر آخر.. وعندما يعزل السلطان ناظرا عن وظيفته، فإن العزل عادة يشمل جميع وظائفه الأخرى إذا كان له وظائف أخرى غير وظيفة النظر، وفي الوقت نفسه يتولاها جميعا من يخلفه.[٢٨٩] وأحيانا يشمل بعضها.[٢٩٠]

وأحيانا يفوض السلطان أمير الحج المصري بعزل الناظر عن وظيفته وعن وظائفه الأخرى، وتعيين ناظرا آخر مكانه في الوظيفة ووظائفه الأخرى، يختاره أمير الحج المذكور.[٢٩١]

كما أنه في العادة أن لايستمر الناظر في منصبه مدة طويلة، إذ أن صاحب هذه الوظيفة دائما عرضة للعزل.[٢٩٢] وهذا يدل على كثرة المتنافسين على الوظيفة وكيد بعضهم لبعض عند السلطان.

وعندما يصدر السلطان قراره بتولية أحد أمرائه في مصر بتولى وظيفة النظر، فإن العادة أن هذا الأمير الناظر عادة مكلف بالقيام بعمارة معينة بالمسجد الحرام يكلفه السلطان بالقيام بها، لذلك نجد أن الناظر المعين في مصر والقادم إلى مكة يأخذ معه من مصر مجموعة من المعماريين وأدوات العمارة ولوازمها، بالإضافة إلى مؤنة العمال، ويشحن كل ذلك في سفن عن طريق البحر الأحمر.[٢٩٣]

ويحق للناظر أن يعين له نائبا في وظيفة النظر وفي وظائفه الأخرى أو بعض وظائفه.[٢٩٤]

ناظر العمارة

هذه الوظيفة، وظيفة مؤقتة، حيث يرسل السلطان أحد أمرائه للقيام بعمارة معينة بالمسجد الحرام، وتنتهي واجبات الوظيفة بانتهاء هذا المرسل من أداء العمل المطلوب منه. وعادة يرسل السلطان هذا المرسول عندما يحتاج المسجد الحرام إلى إصلاحات، مثال ذلك أرسل السلطان أحد أمرائه إلى مكة لإعادة بناء ما احترق من المسجد الحرام سنة ٨٠٣هـ، لذلك نجد أن المتعين في هذه الوظيفة يعين من قبل السلطان ويكون برتبة أمير.[٢٩٥]

ويدخل ضمن واجبات الناظر للعمارة أيضا عمارة وترميم ما يحتاج إليه المسجد الحرام في أثناء وجوده في مكة لأداء مهمته المرسل من أجلها، بمعنى انه مسؤول عن القيام بجميع ما يحتاج اليه المسجد الحرام من ترميم أو عمارة. فمثلا لو أن السلطان أرسل أحد أمرائه للقيام بعمارة معينة في المسجد الحرام، واحتاجت الكعبة الى ترميم في أثناء قيامه بالعمارة المذكورة، فإن عليه القيام بترميم الكعبة أيضا.[٢٩٦]

وأحيانا يرسل السلطان أحد أمرائه للقيام بعمارة عين أو بناء مطهرة، وغير ذلك من أعمال العمارة التي تحتاج إليها مكة يعود نفعه على أهلها، وهذا يعني أن الناظر المرسول لا يرسل فقط للعمارة في المسجد الحرام، وإنما قد يرسل لعمارة شيء آخر يكون خارج حدود المسجد الحرام.[٢٩٧]

(٢٨٧) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٥٢.
(٢٨٨) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٣٤٥، جـ٤، ص٤١٥.
(٢٨٩) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٢٣، ٤٣٧.
(٢٩٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٣٧، ٦٣٨.
(٢٩١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٣٧.
(٢٩٢) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٥٧٢، ٦٣٨.
(٢٩٣) السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠.
(٢٩٤) الفاسي، **العقد**، جـ١، ص٣٧٦؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٧، ص٤٥.
(٢٩٥) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٣٦٥؛ الفاسي، **العقد**، جـ٤، ص٩٧؛ النهروالي، ص١٩٢.
(٢٩٦) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٥٩٧ـ ٥٩٨؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ١٦٦، ٢٤٧.
(٢٩٧) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٥٤١، ٥٥٦، ٥٦٠؛ النهروالى ص٢١٧.

ويشرف الناظر عادة على مجموعة من المهندسين والبناءين والعمال، ويتابع أعمالهم ويصرف أجورهم.(٢٩٨) والعادة أن يحضرهم معه من مصر، ويجلب معه أيضا جميع ما يحتاجه للعمارة من أدوات بناء ومؤنه وغيرها، بالإضافة إلى قوت العمال.(٢٩٩)

وغالباً ما يتولى الناظر للعمارة وظائف أخرى في مكة، بالإضافة إلى وظيفة نظر العمارة، يكلفه بها السلطان عند إرساله إلى مكة، ومن هذه الوظائف:

- نظر الحرم.(٣٠٠)
- الحسبة.(٣٠١)
- نظر الأربطة.(٣٠٢)
- نظر الأوقاف.(٣٠٣)
- نظر الصدقات.(٣٠٤)
- إمارة الحج.(٣٠٥)
- نظر المياضيء.(٣٠٦)

وقد تجمع له عدد من هذه الوظائف في وقت واحد مع وظيفة نظر العمارة، مثال ذلك عندما أرسل السلطان برد بك التاجي ناظرا للعمارة، فولاه أيضا نظر الحرم والحسبة والربط والأوقاف والصدقات والمياضيء.(٣٠٧)

وأحيانا يعين الشريف ناظر العمارة في أحد هذه الوظائف، مثال ذلك عندما عين الشريف ناظر العمارة سودون المحمدي في وظيفة النظر للمسجد الحرام بشكل مؤقت حتى يعين السلطان ناظرا آخر للمسجد الحرام، لأن الناظر للمسجد الحرام الذي عينه السلطان لم يرض عنه الشريف ولا أهل مكة، لذا منعه الشريف من مزاولة عمله، وعين ناظر العمارة سودون المحمدي في وظيفته حتى يرد قرار السلطان.(٣٠٨)

بل ونجد الشريف أحيانا يجعله نائبا عنه في تصريف شؤون مكة في حالة غياب الشريف عن مكة، ويستغل ناظر العمارة هذا التكليف بالقيام ببعض الإصلاحات والتنظيمات التي تحتاجها مكة في مدة التكليف القصيرة.(٣٠٩)

ولا يتطلب عادة في الشخص المعين في وظيفة نظر العمارة مؤهلات معينة ودرجة من العلم محددة، وإنما السلطان يعين من يريده ويرضى به، وقد تصل الأمور أن يعين السلطان شخصا في الوظيفة صلته بالسلطان بأنه نديمه ومضحكه، ولا يقتصر الأمر بأن يعينه في وظيفة نظر العمارة فقط، وإنما أيضا يجمع له مع هذه الوظيفة وظائف أخرى بمكة.(٣١٠) ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى طبيعة الوظيفة، فهي وظيفة إشراف وإدارة، ثم أن الناظر عادة يتبعه عدد من المهندسين والبناءين والعمال وأهل الخبرة الذين عادة يشاورهم ويتبادل الرأي معهم.

الفراش

للمسجد الحرام عدد من الفراشين، يقومون بالخدمة داخله، ومن واجباتهم تنظيف المسجد الحرام وكنسه والقيام بالخدمة العامة داخله.(٣١١)

كذلك من واجباتهم المحافظة على ما بمستودعات الحرم من زيت وشمع، وإعادة المتبقى من المستعمل

---

(٢٩٨) السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠؛ النهروالي، ص٢٠٧.

(٢٩٩) السخاوي، **التبر**، ص ص٣١٧، ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٣٠٠) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٢١؛ السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠؛ ابن فهد، **الدر**، ص٩٩/أ.

(٣٠١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٤، ص٤٩٣؛ السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠؛ ابن فهد، **الدر**، ص٩٩/أ.

(٣٠٢) السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠؛ ابن فهد، **الدر**، ص٩٩/أ.

(٣٠٣) السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠؛ ابن فهد، **الدر**، ص٩٩/أ.

(٣٠٤) السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠؛ ابن فهد، **الدر**، ص٩٩/أ.

(٣٠٥) **المقريزي**، جـ٣، مجـ٢، ص ص٩٢٩ ـ ٩٣٠، جـ٣، مجـ٣، ص١٠٦٤؛ الفاسي، **العقد**، جـ٢، ص٤٠٣؛ السخاوي، **الضوء** جـ٣، ص٢٣؛ العصامي، عبد الملك بن حسين، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، اربعة اجزاء (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٠هـ)، جـ٤، ص٣٣.

(٣٠٦) ابن فهد، **الدر**، ص٩٩/أ.

(٣٠٧) ابن فهد، **الدر**، ص٩٩/أ؛ السخاوي، **التبر**، ص٣٢٠.

(٣٠٨) ابن فهد، **الدر**، جـ٤، ص٤١٥؛ ابن فهد، **الدر**، ص١٢٢/ب؛ السخاوي، **الضوء**، جـ٣، ص٢١٤؛ المقريزي، جـ٤، مجـ٢، ص٩٣٠.

(٣٠٩) الفاسي، **العقد**، جـ٤، ص ص٩٧ ـ ٩٩.

(٣١٠) المقريزي، جـ٤، مجـ٢، ص ص٩٦١.

(٣١١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٢١٢ ـ ٢١٥.

وفي ليلة الخامس عشر من شعبان يتجمع السقاة حول بئر زمزم ويستخرجون الماء منه بكثرة وينثرونه على رؤوس الناس المزدحمين حوله، وذلك اعتقادا من عامة أهل مكة أن ماء البئر يزيد في هذه الليلة سبعة أذرع عما سواها من الليالي.(٣٤٢)

وقد ذكر ابن جبير أن على بئر زمزم بناء به قبه، وقد جعل داخله سقاية سعتها شبر وعمقها نحو شبرين، وارتفاعها عن الأرض خمسة أشبار، تملأ ماء للوضوء، وحولها مصطبة دائرة يرتفع الناس اليها ويتوضأون عليها.

ويلى قبه زمزم قبة العباسية أو قبة الشراب، لأنها كانت سقاية الحاج، حيث يبرد فيها ماء زمزم ويخرج مع الليل لسقى الحاج في قلال تسمى الدوارق، كل دورق منها ذو مقبض واحد، وتترك بها ليبرد فيها الماء ويشربه الناس.(٣٤٣)

أما الفاسي فيصف المكان الذي فيه زمزم بأنه بيت مربع، وفي جدرانه تسع أحواض للماء تملأ من زمزم فيتوضأ الناس منها، إلا حوضا واحدا معطلا منها.(٣٤٤) والى جانب هذا البيت خلوة فيها بركة تملأ من ماء زمزم ويشرب منها من دخل إلى الخلوة. وكان لها باب الى جهة الصفا، ثم سد وجعل في موضع الخلوة بركة مقبوة، وفي جدارها الذي يلى الصفا بزابيز نحاس يتوضأ الناس منها عل أحجار نصبت عند البزابيز.(٣٤٥)

أما سقاية العباس فقد وصفها الفاسي بأنها بيت مربع في أعلاه قبة كبيرة، ساترة لجميعه. والقبة من آجر معقودة بالنورة، وفي أسفل جدرانها خلا الجنوبي شبابيك حديد تشرف على المسجد الحرام، في كل جهة شباكان من حديد، وفي جانبها الشمالي من خارجها حوضان من رخام مفردان، وباب السقاية بينهما، وفي هذا البيت بركة كبيرة تملأ من بئر زمزم يسكب الماء من البئر في خشبة طويلة على صفة الميزاب متصلة بالجدر الشرقي من حجرة زمزم، ويجرى الماء منها الى الجدار المشار اليه، ثم الى قناة تحت الأرض حتى يخرج الى البركة من فوارة في وسطها.(٣٤٦)

الوقـــاد

وهو الذي يضع الزيت في القناديل التي بالمسجد الحرام، ثم يشعلها لتضيء جوانبه ليلا.(٣٤٧) ولابد لمن يشغل هذه الوظيفة أن يكون عارفا بمقدار الزيت الذي تحتاجه القناديل الى وقت طلوع القمر في الليالي التي يتأخر طلوعه فيها من أول الليل.(٣٤٨) وهذه المعرفة تحتاج إلى خبرة ودراية بالعمل لفترة طويلة، لذلك نجد أن بعض الوقادين قضى في مهنته أكثر من نصف قرن، وامتدح بدقة عمله وحسن أدائه له.

وعملية تسليم الزيت والشمع من مستودعات المسجد الحرام للوقاد، تمر بعدد من الموظفين الذين يقومون بضبط المقدار المصروف ومحاسبة الوقاد عليه، إذ عليه إرجاع المتبقى الى المستودع.(٣٤٩)

وللمسجد الحرام في ذلك الوقت ثلاثة وتسعين قنديلا، منها في الجانب الشمالي أحد عشر قنديلا، وفي كل من الجانب الشرقي والغربي سبعة قناديل في كل جانب، أما الجانب الجنوبي ففيه ثمانية قناديل، وحول دائر المطاف ثلاثون قنديلاً. وفي مقام إبراهيم أربعة قناديل، وفي كل مقام من المقامات الأربعة حول المطاف خمسة قناديل، ومنها قنديل على باب بنى شيبة من خارجه، وثلاث قناديل بزيادة دار الندوة في كل جانب، وقنديل على باب إبراهيم من داخله.

ويزاد في المسجد الحرام في شهر رمضان من كل سنة ثلاثون قنديلاً في الدائر الذي حول المطاف، وفي المقامات الأربعة، كذلك تزاد عدد القناديل بمقام

---

(٣٤٢) ابن جبير، ص ص١١٨ ـ ١١٩؛ الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٤١٣

(٣٤٣) ابن جبير، ص٦٦؛ ابن بطوطة، ص١٣٢.

(٣٤٤) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٤٠٠.

(٣٤٥) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٤٠٣؛ ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص٤٤٣.

(٣٤٦) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص٤١٦.

(٣٤٧) الفاسي، **شفاء**، جـ٧، ص٤٢٥.

(٣٤٨) الفاسي، **شفاء**، جـ٧، ص٤٢٥.

(٣٤٩) الفاسي، **العقد**، جـ٦، ص١٣٤.

إبراهيم في بعض ليالي العشر الأخيرة من رمضان في كل سنة عند ختم المصلين، وليتمكن الناس من قراءة القرآن الكريم.

أمـا في أيام موسم الحج فيزاد في عدد القناديل بمثل الزيادة التي كانت في رمضان. ويزاد أيضا عدة قناديل توضع في جوانب المسجد الحرام الأربعة بأن تعلق بسلاسل بالرواق الأوسط من كل جانب.(٣٥٠)

وقد ذكر ابن فهد أن هناك ليالي تزاد فيها الإضاءة بالمسجد الحرام مثل ليالي العشر الأخيرة من رمضان، وليلة العيد، وليلة هلال شهر رجب، وليلة هلال شهر ربيـع الأول، فيـؤدى ذلك الى حدوث زحـام شديد بالمسجد الحرام لسماع الخطب والمواعظ التي تلقى بمثـل هذه الليـالي، وللاستمتاع بمشاهدة القناديل والشمـوع المضاءة، مما يؤدى إلى اختلاط الرجال بالنساء، فأدى الى منع ذلك.(٣٥١)

العمـــري

وهـو من يستـأجره بعض الناس، لأداء مناسك العمرة بدلا عنهم، أو أنه يقوم بتلقينهم أفعال العمرة وواجبـاتها، ويمكن أن يقال مثل ذلك على من يقوم النـاس باستئجـاره لأداء منـاسـك الحـج عنهم وإرشادهم على أفعاله.(٣٥٢)

---

(٣٥٠) الفاسي، **شفاء**، جـ١، ص ص٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٣٥١) ابن فهد، **اتحاف**، جـ٣، ص ص٥٢٧ ـ ٥٢٨.

(٣٥٢) السخاوي، **الضوء**، جـ٥، ص٢، ٣١٨، جـ١٠، ص١٢.